

تنوع أساليب الشرط في سورة النساء  
وأثره البياني

جمعة خليفة جمعة العليلي  
طالب دكتوراه - الجامعة الأردنية  
كلية الشريعة/ قسم أصول الدين  
Jalalili@yahoo.com  
00971506453515

الدكتور منصور محمود حسن أبو زينة  
جامعة اليرموك - كلية الشريعة  
قسم أصول الدين

## مُلخَصُ البَحْثِ

يهدف هذا البحث إلى بيان تنوع أسلوب الشرط في سورة النساء، وانعكاس الأثر البياني على هذا الأسلوب، مما أدى إلى عمق المعاني المطلوبة من السياق، فتتعدد أساليب الشرط في السورة بتنوع موضوعاتها، ورسَخَ هذا الأسلوب البناء الاجتماعي للأسرة المسلمة، وأبرز الأحكام الشرعية المعنوية بالبناء الداخلي لها، ومما زاد أسلوب الشرط في السورة دقة في المعنى: أسلوب الحذف، الذي أضاف إليها أثراً بيانياً متناسقاً، كما أن أسلوب التوكيد في السورة زاد أيضاً في جمال المبنى والمعنى؛ حيث تنوعت المؤكدات في السورة؛ لبيان المعاني التي تحتاج إلى عمق التفكير والتدبر، وجاء التوكيد للترغيب والترهيب، والتعظيم والحصر. الكلمات الدالة: أساليب الشرط، سورة النساء، الأثر البياني.

## Abstract

This research aims to clarify the conditional style in sure of ELNISA and the reflection of the rhetorical effect on this style which leads to the depth of the words from the context.

The conditional styles varied in the sura as it's topics and this style established the social fabric for the Islamic families and the sharia provisions included the internal instructure.

Many methods give the sura more accuracy such as; the omission style which adds harmonical and rhetorical effect.

Also the emphasis style in the sure add aesthetic value in meaning and structure.

Whereas the confirmations in the sura varied to demonstrate the deeper meanings which need to meditation and deep thinking.

Also, the emphasis style was for invitation, intimidation, glorification and limitation.

Key words: conditional style, sure of ELNISA, the rhetorical effect.

## المقدِّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله المعجزة الخالدة؛ فهو كتاب { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ [ فصلت: 42 ]، كتاب جمع علم الدين والدنيا والآخرة؛ فمن عاش قريباً منه، وتدبر معانيه، أنار له الطريق، و أوضح له المسير، وحفظه من كل شر آتية، وهو كتابٌ مُعجَزٌ في مَبْنَاهُ وفي معناه، ومن إعجازه في الكلمة أنك تراها دقيقة في المعنى، و رصينة في المبنى، لا تصلح مكانها كلمة غيرها، ومن إعجازه أن نوره يضيء كلما زاد الظلام؛ فمن يمشي على منهجه فهو آمن ومطمئن، لا تغير أفكاره الملهيات، ويعالج كثيراً من المشكلات التي يحار فيها العقل البشري.

وقد تناولت هذه الدراسة أسلوب الشرط في سورة النساء دراسةً بيانية، فتبين لنا زخم هذا الأسلوب في السورة، ودقته في ترسيخ كثير من المعاني.

ودخل أسلوب الحذف في أسلوب الشرط فزاده ثراءً في المعنى، وإتقاناً في المبنى. ودخل كذلك عليه أسلوب التأكيد، مما أدى إلى بيان كثير من المعاني العظيمة، فجاءت المؤكدات متنوعة بما يتناسب مع السياق، فيظهر الأثر البياني في غاية الروعة والجمال، فيرسخ في الذهن أكثر وأكثر.

#### أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أن موضوعه هو التعرف على أنواع أساليب الشرط في السورة الكريمة، مما كان له الأثر البالغ في بيان المعاني، وترسيخ القواعد في بناء المجتمع الإسلامي، وحماية الأسرة المسلمة من أي شيء يعكر صفوها. وتعميق كثير من المفاهيم التي يجهلها الإنسان بطبيعته الجبلية، ويتعامل معها القرآن بمنهاج إلهي، يتكيف معه الإنسان بكل يسر وسهولة إذا سلم أمره لله - تعالى -.

#### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتركز المشكلة الرئيسة لهذا البحث في محاولة التعرف على تنوع أسلوب الشرط في سورة النساء؛ وكشف الأثر البياني في الآيات، مع الأثر المتخلل في الآيات من حذف وتأكيده.

وينبني على هذه المشكلة عدّة أسئلة، وهي:

1. ما هي أنواع أساليب الشرط في السورة وأثرها البياني؟
2. ما هي أنواع الحذف في أساليب الشرط وأثرها البياني؟
3. ما هي أنواع التوكيد في أساليب الشرط وأثرها البياني؟

#### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعرف على أنواع أساليب الشرط في السورة وأثرها البياني.
2. التعرف على أنواع الحذف في أساليب الشرط في السورة وأثرها البياني.
3. التعرف على أنواع التوكيد في أساليب الشرط في السورة وأثرها البياني.

#### الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات وأبحاث تناولت جوانب من هذا الموضوع، وكان أغلبها في كلية اللغة العربية، وقد درست سورة النساء من الناحية النحوية، أما الدراسة البيانية في سورة النساء، فقد كانت على شكل نماذج من السورة، ومن أوثق هذه الدراسات صلة بموضوع هذا البحث ما يأتي:

- 1- الأنماط الشرطية في سورتي البقرة والنساء (دراسة نحوية). المؤلف: د. محمد ناشر سالم علي. قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب والعلوم - صعدة. جامعة عمران. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية. العدد ( 11 ) المجلد ( 13 ) يوليو 2016م. فهذه الدراسة تظهر الأنماط الشرطية في سورتي البقرة والنساء وتدرسها دراسة نحوية.

أما دراستنا هذه فتدرس أنواع أساليب الشرط في سورة النساء، وتتناول الجانب البياني، فهي أكثر دقة وعمقاً في المعاني، وهذا لا تجده في الدراسة النحوية. إذ للنحو ميدانه وللبلغة ميدانها في الدراسة.

2- أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية). ماجستير في النحو العربي من كلية الآداب. الباحث: فهد محمد ديب الجمل. إشراف: يوسف جمعة عاشور. الجامعة الإسلامية - غزة - ، 1435هـ - 2014م.

هذه الدراسة تقتصر على أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم، ويذكر الباحث عددا من القضايا المتصلة بـ(جملة الشرط) في العربية، ثم يذكر أدوات الشرط غير الجازمة، ويطبق على السور القرآنية، ويدرسها دراسة نحوية دلالية.

3- أسلوب الشرط في سورة النساء (دراسة نحوية). ماجستير في ( النحو والصرف ). الباحثة: روية علي زكريا. المشرف: د. فضل الله النور علي. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا 1436هـ - 2015م.

قُسمت هذه الرسالة إلى تمهيد وثلاثة فصول، وتناولت أسلوب الشرط في سورة النساء دراسة نحوية، وتناول الباحث أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة، وقسم السورة على أسلوب الشرط.

4- سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ( قسم البلاغة ). الباحثة: خديجة محمد أحمد البتاني. المشرف: أ.د. عبد العزيز أبو سريع ياسين. جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية، 1422هـ - 2001م.

تتكون هذه الرسالة من تمهيد وخمسة فصول.

تتاولت الباحثة في هذه الرسالة موضوعات مختلفة في البلاغة، من حيث التشبيه والمجاز والكناية، والفنون البديعية. وخصصت مطلباً واحداً للأدوات الشرط وهي ( إذا، وإن، ولو )، واختارت عينة من هذه الأدوات الشرطية، وهي قليلة جداً.

5- تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري (دراسة تطبيقية على سورتي آل عمران والنساء). ماجستير في التفسير وعلوم القرآن. الباحث: إسلام ديب قنيطرة. إشراف: أ.د. عبد السلام حمدان اللوح. الجامعة الإسلامية - غزة. كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1435هـ - 2014م.

تشتمل هذه الدراسة على تمهيد وفصلين.

الجانب التطبيقي ما هو إلا تحليل جملة الشرط و بيان أثرها على المعنى التفسيري للآيات.

**وتنفرد الدراسة عن هذه الدراسات بما يأتي:**

1. عرض أنواع أساليب الشرط الموجودة في سورة النساء وبيان أثرها البياني.
2. التعرف على بعض أنواع الحذف في آيات الشرط في سورة النساء وأثرها البياني.
3. التعرف على بعض أنواع التأكيد في آيات الشرط في سورة النساء وأثرها البياني.

**منهج البحث:**

لتحقيق مقاصد هذا البحث اتبعت الباحثة المناهج البحثية الآتية:

1. **المنهج الاستقرائي:** ويتمثل في استقراء الآيات القرآنية المتصلة بأسلوب الشرط في سورة النساء.
2. **المنهج التحليلي:** ويتمثل في دراسة الآيات القرآنية، وتحليلها للوصول إلى الأثر البياني.
3. **المنهج الاستنباطي:** ويتمثل في استنباط الدلالة البيانية في الآيات المدروسة.

### خُطَّةُ البَحْثِ:

اقتضت طبيعَةُ هذا البحث أن يكونَ على النحو الآتي:

المقدمة، وتتضمنُ أهمية البحث، ومنهج دراسته، وخطة عرضه.

المبحث الأول: الأثرُ البيانيُّ لتعددُ الأساليب الشرطيَّة في السورة.

المبحث الثاني: الحذفُ في سياق الآيات الشرطيَّة، وأثره البياني.

المبحث الثالث: التأكيدُ في سياق الآيات الشرطيَّة، وأثره البياني.

والله تعالى نَسألُ أن يجعلَ هذا البحثَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتبَ لنا أجرَه ونُحْرَه، وأن يتجاوزَ لنا عما كانَ من خطأ أو نسيان، وأن ينفَع به كاتبه وقارئه، { وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ } [ الأحزاب: 4 ].

### المبحث الأول: الأثرُ البيانيُّ لتعددُ الأساليب الشرطيَّة في السورة.

شخصية السورة تفرض أسلوبها، من خلال الموضوعات المتناولة فيها، وسورة النساء سورة مدنية، عالجت كثيرًا من القضايا المتنوعة في المجتمع الإسلامي الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع، وبثت كثيرًا من الأحكام الشرعية، فجاءت المعالجة بأسلوب الشرط الذي كان هو الأنسب لها؛ لأنه يكشف لنا أسراراً عميقة في المعاني؛ حيث تنوعت أساليب الشرط في السورة، مما جعلها زاخرة فيها.

#### أنواع الأدوات التي جاءت في السورة:

##### أولاً: ( إن ) الشرطية:

أكثر أدوات الشرط مجيئاً في سورة النساء هي ( إن ) الشرطية، التي تجاوزت في ورودها الخمسين موضعاً.

قال تعالى: { وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُونَ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا } [ النساء: 15 ].

فالآية الكريمة تتحدث عن حكم شرعي، وكان من المناسب لها أن تستعمل ( إذا ) الشرطية، فما السرُّ البلاغي في استعمال ( إن ) الشرطية بدل ( إذا ) الشرطية؟

الجواب عن ذلك، هو: أن تحقق هذه الشهادة نادرة، بالإضافة إلى عدد الشهود وهم أربعة، فكان المناسب لها ( إن ) الشرطية دون ( إذا ) الشرطية.

قال تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا } [ النساء: 35 ]؛ فإن شرط هذه الآية يدل على عادة غالبية في الوقوع، ومن أجل ذلك تكون مظنوننة.

تحدثت هذه الآية عن أمر في غاية الدقة، وهي عملية الإصلاح بين الزوجين؛ قال تعالى: { إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا } عبر بلفظ الإرادة، هي منطلقة من الإنسان نفسه، وهو من الترغيب للحكمين في الإصلاح؛ قال تعالى: { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا (34) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا (35) } [ النساء: 34-35 ].

ثم جاءت هذه الآية الكريمة لترسم لنا طريقة علاج الخلاف الذي يقع بين الزوجين، بطريقة التدرج في التأديب؛ قال تعالى: { وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ }؛ حيث ذكرت هذه الآية الكريمة ثلاث مراحل في علاج الخلاف:

المرحلة الأولى: إساءة النصح إليها، بالكلمة الطيبة، حتى يلين قلبها، وهو علاج نفسي.  
أما المرحلة الثانية، فهي الهجر في المضاجع، وهذا عقاب نفسي وبدني.

أما المرحلة الثالثة، فهي الضرب، وهو عقاب بدني خالص، وينبغي أن يكون للإصلاح والتأديب، لا الانتقام والتعذيب<sup>(1)</sup>. ولا ينبغي أن تنتقل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية، إلا بعد تعذر العلاج في المرحلة الأولى، وكذلك لا ينتقل من المرحلة الثانية إلى الثالثة إلا بعد تعذر العلاج في المرحلة الثانية، ثم جاءت الآية الخامسة والثلاثون لتنتقل لنا العلاج في المرحلة الرابعة؛ قال تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (35) } [ النساء: 35].

وتحتوي هذه الآية على شرطين في غاية الدقة:

الشرط الأول: في قوله تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا } [ النساء: 35]، فإذا لم تتم المراحل الثلاثة للعلاج، تأتي المرحلة الرابعة، ولكنها تخرج من نطاق الزوجين إلى نطاق الحكامين؛ لإنصاف المظلوم من الظالم<sup>(2)</sup>، وجاء الشرط ب ( إن ) دون مجيء ( إذا )؛ لأنه بعد المراحل الثلاثة لعلاج الخلاف يندر وقوع حدوث الشقاق بينهما، فجاء الشرط مناسباً مع سياق الآية؛ حيث عبر القرآن عن الخلاف بين الزوجين بأدق كلمة وهي ( شِقَاق )؛ فالشِقَاقُ: المخالفة، وكونك في شِق غير شِقِّ صَاحِبِكَ، أو مِنْ شِقِّ الْعَصَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ<sup>(3)</sup>، وهذا يدل على التماسك بين الزوجين؛ حيث أصبحوا شيئاً واحداً متماسكاً مع بعضهم البعض، وأي شيء يبعد بينهما يكون ( شِقَاقاً ) أي: يؤدي إلى انفصال العلاقة بينهما.

وجواب الشرط هو قوله تعالى: { فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا } قال تعالى: { فَابْعَثُوا حَكَمًا } ولم يقل: فليبعثا حكماً، لأنه انتقلت القضية إلى مجال الحكم الشرعي<sup>(4)</sup>، وهذا الحكم يكون من طرف أهل الزوج، ومن طرف أهل الزوجة، وخص بأهل الزوجين لأنهم أقرب ببواطن الأحوال وأعرف، وتسكن إليهم النفس، ويطلع كل منهما على ما في ضميره، من حب وبغض، وإرادة صالحة وفرقة، وهم أقرب لطلب الصلح، وهذا على وجه الاستحباب، ولو نصبوا الأجانب جاز ذلك<sup>(5)</sup>.

أما الشرط الثاني: فهو في قوله تعالى: { إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }.

(1) يُنظَر: الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، بدون عدد الطبعة، م5، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة، ج1، ص 783.

(2) يُنظَر: الرازي، محمد (544هـ - 604هـ)، (1401هـ - 1981م)، مفاتيح الغيب، (ط1)، لبنان (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج10، ص 95.

(3) يُنظَر: الأصفهاني، الراغب (ت في حدود 425 هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، ط1، م4، تحقيق (صفوان عدنان داوودي)، دار القلم، دمشق، 1430هـ - 2009م، ص459-460.

(4) يُنظَر: بن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، ط1، م2، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، رمضان 1430هـ، ج1، ص 294.

(5) يُنظَر: أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ)، تفسير البحر المحيط، ط1، م8، دراسة وتحقيق وتعليق (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض (شارك في تحقيقه د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجميل)، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ - 1993م، ج3، ص253. أبو السعود، محمد بن محمد (ت 951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بدون عدد الطبعة، م9، دار احياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة، ج2، ص 175.

فإن هذا الشرط يعمل على تحفيز مشاعر الخير والإحسان للحكمين، حتى يكونا نعم السفير لهذه الرسالة العظيمة التي نديهما الله إليها.

جاء ب ( إن ) الشرطية بدل ( إذا ) الشرطية؛ لأن إرادة الإصلاح متعلق بالنواتيا، وهذا مما يقل وقوعه في إرادة الإصلاح، لأن كل طرف منهما يمثل صاحبه، وربما يسعي إلى الانتصار للشخص الذي يمثله.  
ولهذا يقول أبي السعود- رحمه الله تعالى - ( ت 951 هـ ) : "هو ترغيب للحكمين في الإصلاح، وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الأمر إلى عدم إرادتهما، فإن الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الإرادة، منبئة عن دوران عدمه على عدمها"<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: ( إذا ) الشرطية:

قال تعالى: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) } [ النساء: 18 ]، بعد أن بين الله - عز وجل - سعة رحمته بخلقه بقبول توبة التائبين؛ ذكر حال أصدادهم الذين لا تقبل منهم التوبة؛ قال تعالى: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ } نفي التوبة عن الصنفين المذكورين في الآية، وفيها من المبالغة من عدم قبول توبتهم<sup>(2)</sup>.

**الصنف الأول:** { يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ }، أي: الذين يُسَوِّفُونَ التوبة؛ حيث عبر عن عملهم بالمضارع مما يفيد التجدد والاستمرار، وبينت الآية نوع العمل، وهو عمل سيئ، وجمع السيئات يفيد تكرار وقوعه في الزمن المديد لأن المراد بها جميع أنواعها<sup>(3)</sup>.

**الصنف الثاني:** { وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ }، أي: الذين ماتوا وهم على الكفر.

بعد أن عطف على قوله تعالى: { لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ } ذكر حال الكفار، مع أنه لا توبة لهم، وذكر حرف النفي ( لا ) في المعطوف يشعر بأمر خفي، وهو حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى أقوى من حال الذين يموتون وهم على الكفر<sup>(4)</sup>.

قال تعالى: { حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ }، { حَتَّى } حرف ابتداء، عُبر ب { إِذَا } الشرطية؛ لأن الموت مجزوم بوقوعه، تدوقه كله نفس بشرية، كما قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ (185) } [ آل عمران: 185 ]، ولنا وقفة عند كلمة

( الحضور ) لماذا عبر في هذه الآية عن الموت بالحضور، وفي موضع آخر عبر عن الموت بالمجيء، كما في قوله تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (61) } [ الأنعام: 61 ] ؟

الحضور نقيض المغيب والغيبية، وهو بمعنى الشهود، وهو يختلف عن المجيء، تقول مثلاً: ( كنت حاضراً، مجلسهم ) أي: شاهداً مجلسهم، لست غائباً، وليس معناه: كنت قادماً إلى مجلسهم.

وكلمة ( حضر ) في سورة النساء تتحدث عن أحكام التوبة وقتها، وأنها ليست عند حضور الموت، فليس في هذه الآيات أمر يتعلق بالموت، أو بحالة المتوفى فيه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 175.

(2) القوجوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى ( ت 951 هـ )، حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي، ط1، م8، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1419 هـ - 1999 م، ج3، ص 284.

(3) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 157.

(4) نفس المصدر.

أما المجيء فيحتمل أحد أمرين: أن المجيء لم يكون موجوداً أصلاً، أو كان موجوداً في مكانٍ ثم قدم إلى مكانٍ آخر. أما المجيء في سورة الأنعام، فقد ذكر أمراً يتعلّق بالموت وحالتهم فيه، وأنهم يُرَدُّون إلى ربّهم بعد ذلك، يتبين لنا أن مجيء الموت في استعمال القرآن الكريم إما أمر يتعلّق بالموت، أو بحال الميت فيه، أو فيه وفيما بعده<sup>(1)</sup>.  
وختّمت الآية بقوله تعالى: { أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) }؛ فهي إشارة إلى الفريقين، مما يفيد إلى سوء حالهم، ويُعد منزلتهم في السوء، وكرر الإسناد لتقوية الحكم، وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بأن العذاب مُهيئٌ لهم من قبل، وتتكبير { عَذَابًا } وصفه بأنه { أَلِيمًا } من أجل التفخيم في ذاته ووصفه<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: ( مَنْ ) الشرطية:

قال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14) } [النساء: 13 - 14]، بعد أن بين الله - عزوجل - قسمة الميراث؛ ذكر ترغيباً للطاعة، وترهيباً للمعصية، قال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } فيها قولان:  
القول الأول: أنه تشير إلى الميراث، وحجة هذا القول: عود الضمير إلى أقرب مذكور.  
أما القول الثاني: أنه تشير إلى ما ذكر من أول السورة حتى هذه الآية، وحجة هذا القول: أن عوده إلى الأقرب إذا لم يمنع من عودة إلى الأبعد مانع يوجب عودة إلى الكل<sup>(3)</sup>.

ومعنى حدود الله كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هي: حدود طاعته، واستعمال الحدود هنا مجازاً في العمل الذي لا تحل مخالفته على طريقة التمثيل<sup>(4)</sup>.

قال تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }، { مَنْ } اسم شرط جازم مبتدأ، و { مَنْ } تعمل على التعميم، والتعميم يعمل على الاختصار دون تطويل، وهذا الشرط فيه من الإيجاز مع توفيقه للمعنى.  
أما جواب الشرط قوله تعالى: { يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }، جاء الجواب مفصلاً ليعبث على الجد والاجتهاد المستمر في طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، حتى ينال ذلك الفوز العظيم، فكان الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: { وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14) }، { مَنْ } اسم شرط جازم مبتدأ، ويفيد التعميم، فزيد في هذا الشرط { وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ }، فناسب زيادة في الجواب؛ حيث ذكر نوع العذاب أنه مهين.  
تكرار اسم { الله }، وإظهاره في موضع الإضمار، مما يفيد تربية المهابة، والمبالغة في الزجر للتهديد والتشديد في الوعيد<sup>(5)</sup>، وهنا مناسبة جميلة؛ حيث جمع { خَالِدِينَ } مع أهل الطاعة، أفرد { خَالِدًا } مع أهل المعصية، وتعليل ذلك هو:

(1) يُنظر: الشامرائي، فاضل صالح، أَسْئَلُهُ بَيَانُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ط4، م2، دار ابن كثير، 1439هـ - 2018م، ج1، ص 285 - 289.

(2) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 157.

(3) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص 235.

(4) يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، 200. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، لا يوجد عدد الطبعة، 30 م، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج4، ص 268.

(5) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 154.



أن أهل الطاعة هم أهل الشفاعة، فإذا شُفِعَ في غيرهم دخولها، وقيل: بل يتمتع أهل الجنة بالاجتماع، ويأنس بعضهم ببعض. كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة<sup>(1)</sup>.

ونكز بعض العلماء لفتة أخرى في اختلاف الجمع والإفراد في هذه الآية، ومفادُه أن هذه الآية فيها فنون البلاغة يُطلق عليه اسم (جمع المختلف والمؤثفة)، يقصد به: التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤثفة في مدحها، ثم يُريد بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بما لا ينقض من الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تخالف معاني التسوية بحسب تفاوت درجاتهم، كقوله تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء: 78 - 79]، فسوى بينهما في الحكم والعلم، ولكنه زاد فضل سليمان - عليه السلام - بالفهم؛ حيث جمع ضمير الخالدين في الجنة؛ لأنه كل من دخل الجنة كان خالداً فيها أبداً، وإن تفاوتت درجات الخالدين. أما أهل النار فيبينهم الخالدون وغير الخالدين من عصاة المؤمنين، فناسب الجمع هناك، ولم يناسب هنا؛ لأن الخالدين في النار هم فرقة واحدة، أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت درجاتهم، وهذا من أسمى مراتب البيان<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: ( ما ) الشرطية:

قال تعالى: { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) } [النساء: 24]؛ قال تعالى: { فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ } الفاء استئنافية، و ( ما ) اسم شرط جازم<sup>(3)</sup>، ومجيء ( ما ) الشرطية بدل ( من ) لأن المقصود هو جنس النساء، وليس المقصود امرأة واحدة، وتأتي ( ما ) للعاقل أكثر ولا العكس، والذي زاد هذا المعنى أكثر وضوحاً هو ( من ) البيانية؛ لقوله تعالى: { مِنْهُنَّ }، أي: ما استمتعتم به من جنس النساء؛ حيث أفادت العموم ولدخلها على ( ما ) المبهمة، وهذا من دقة القرآن الكريم، وقال تعالى: { اسْتَمْتَعْتُمْ } أو الاستمتاع، هو الانتفاع، ومجيء السين والتاء تعيد المبالغة، وسمى الله النكاح استمتاعاً؛ لأن فيه منفعة دنيوية<sup>(4)</sup>.

قال تعالى: { فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً }، الفاء رابطة لجواب الشرط، و ( آتوهن ) جواب الشرط، وهنا استعارة تصريحية؛ حيث استعار لفظ الأجور للمهر، والأجور هي جمع أجر، وهو ما يتقاضاه المرء على عمل ما<sup>(5)</sup>.

#### خامساً: ( أينما ) الشرطية:

(1) يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، 200. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 154.

(2) يُنظر: أبي الإصبع، زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، بدون عدد الطبعة، م1، المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، بدون تاريخ الطبعة، ص347. يُنظر: الخطيب، أحمد سعد، مفاتيح التفسير (مُعجم شامل لما يَهُمُّ الْمُقَرَّبُ مَعْرِفَتَهُ من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهمته)، ط1، م2، دار التَّحْمِيرِيَّة، الرياض، 1431هـ - 2010م، ج1، ص 423. الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط7، م9، دار ابن كثير، والبيامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1420هـ - 1999م، ج1، ص632-633.

(3) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 6.

(4) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 9.

(5) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 6-7.

قال تعالى: { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَوْ لَأَيُّ الْقَوْمِ لَا يَكَادِرُونَ بِقَفْعِهِمْ حَدِيثًا (78) } [ النساء: 78 ]؛ فإن هذه الآية الكريمة تجلي لنا القدر المحتوم للإنسان وهو الموت، وتبرزه بصورة مدهشة للعقل والحس، كأنه مخلوق عن طريق الاستعارة المكنية، حيث ينطلق الخيال ليرسم لنا قدرة الموت على الوصول إلى أي مكان ذهب<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: { أَيْنَمَا تَكُونُوا } هي شرط، و ( ما ) زائدة، ويكثر دخولها على ( أين ) الشرطية من أجل تقوية معناها في الشرط<sup>(2)</sup>، وهنا سؤال: ما الفرق ما بين ( أينما ) و ( حيثما )؟  
الجواب عن ذلك هو: أن ( أينما ) هي أكثر إبهاماً وعموماً من ( حيثما )؛ لأن ( حيث ) لازمة للإضافة، فتكون مخصصة أو معرفة لما بعدها.

أما ( أين ) فهي لا تضاف أصلاً؛ فهي مبهمه فإذا دخلت عليها ( ما ) زادت أكثر إبهاماً وعموماً، قال تعالى: { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ }، فهنا نجد تعطي أكثر عموماً وشمولاً وإبهاماً، تبين لنا عظمته الله - عزوجل - يصل الموت للإنسان في أي مكان، ولا حيز يمنعه.

أما ( حيثما ) في قوله تعالى: { وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (144) } [ البقرة: 144 ]، فهي لا تشمل جميع الأمكنة. لأن هناك أماكن لا تصح الصلاة فيها، وكذلك أزمنا لا تصح الصلاة فيها، وهناك حالات لا يصح فيها استقبال القبلة، ف ( حيثما ) لا تستغرق جميع الأمكنة، أما ( أينما ) فهي تشمل جميع الأمكنة، ولا يحدها حاجز، فهي أشمل وأعم<sup>(3)</sup>.

وجواب الشرط قوله تعالى: { يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ }؛ حيث أسند الإدراك إلى الموت، ومنها يصح أن يُسند إلى الأسباب شيء، ولكن بشرط أن لا يعتقد في هذه الأسباب أنها تؤثر بنفسها، وإنما تأثيرها من الله - عز وجل -<sup>(4)</sup>.  
سادساً: ( لولا ) الشرطية:

جاءت ( لولا ) الشرطية في سورة النساء في موضعين، وهما الآية ( 83 ، 113 ).  
جاء الشرط في موضع فضل الله ورحمته، حيث امتنع الجزاء لوجود الشرط، ولا يناسب هذا المقام إلا ( لولا ) الامتناعية؛ قال تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) } [ النساء: 113 ].

فلما وعظ المولى - عزوجل - في هذه الحادثة، جاء التحذير والنهي والأمر؛ فبين الله - عزوجل - نِعْمَتَهُ على النبي - صلى الله عليه وسلم - في عَصَمَتِهِ عمَّا أَرَادُوهُ مِنْ مُجَادَلَتِهِ عَنِ الْخَائِنِ<sup>(5)</sup>؛ قال تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَو لَوْلَا حَرْف

(1) يُنظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبياناه، ط3، م16، دار الرشيد (دمشق - بيروت)، مؤسسة الايمان (بيروت - لبنان)، 1416هـ، 1995م، ج3، ص 104.

(2) العكبري، عبد الله بن الحسين (ت 616 هـ)، التبيان في إعراب القرآن (يعرض لأهم وجوه القراءات، ويعرب جميع آي القرآن)، لا يوجد عدد الطبعة، 2م (تحقيق: علي محمد الجاوي)، بدون تاريخ الطبعة، القسم الأول، ص 374.

(3) يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ط1، م4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1420هـ - 2000م، ج4، ص 83-84.

(6) يُنظر: بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، ج1، ص 560.

(5) يُنظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت 855هـ - 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والشوهر، بدون عدد الطبعة، م22، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة، ج5، ص 398.

امتناع لوجود متضمن معنى الشرط<sup>(1)</sup>؛ حيث تفضل الله - عزوجل - عليك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - بحفظك وعصمتك من كيد الكائدين، والفضل هو زيادة في العطاء، والرحمة أعم؛ لأن الرحمة فيها دفع المكروه وحصول المطلوب، وأما الفضل فهو حصول المطلوب<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: { لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ }، اللام واقعة في جواب الشرط<sup>(3)</sup>، والهم هو العزم على الفعل والثقة به؛ حيث انتقاء همهم، وقيل هو انتقاء أثره<sup>(4)</sup>، ومع فعلهم هذا في الإضلال فهم لا يضلون إلا أنفسهم.

قال تعالى: { وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ }، { مِنْ } زائدة في الإعراب والمعنى، والحروف الزائدة هي من أدوات التوكيد، فهي مؤكدة للمعنى، { شَيْءٍ } هي نكرة والنكرة في سياق النفي تقيد العموم، ودخول عليها ( مِنْ )؛ يُعِيدُ العموم نصاً، أي: لا يستطيعون ضرك بأي شيء من الأشياء؛ لأن الله - عزوجل - من عليك بفضله ورحمته، وقال القفال: وهذا وعد بالعصمة في المستقبل<sup>(5)</sup>.  
قال تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ }، لم يتوقف فضل الله - عزوجل - على نبيه - صلي الله عليه وسلم - بل أنزل عليه الكتاب، ومعها الحكمة، وعلمه ما لم يعلم، وختمت الآية بأمر عظيم؛ قال تعالى: { وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا }، وهذا توكيد لفضله \_ عزوجل \_ وصفه المولى وصفاً بأنه { عَظِيمًا } مبالغاً في عظمته، وهذا يدل على عظم الفضل الذي أوتيته الرسول - صلى الله عليه وسلم - <sup>(6)</sup>.

#### سابعاً: ( لو ) الشرطية:

قال تعالى: { مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (46) [ النساء: 46 ].

تجلي لنا هذه الآية الكريمة أسلوب اليهود في كيفية شراء الضلالة؟

من أساليبهم سوء أفعالهم، كقوله تعالى: { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } والتحريف هو الميل بالشيء إلى الحرف، وهو جانب الشيء وحافته، كتحريف القلم، وتحريف الكلام<sup>(7)</sup>، أي: يميلونه عن المواضع التي وضعها الله إما بإزالتها وإثبات غيرها، أو يُؤوِّلونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه<sup>(8)</sup>.

(1) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 105.

(2) يُنظر: بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج2، ص 205.

(3) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 105.

(4) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 197.

(5) يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص 362. بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج2، ص 208.

(6) يُنظر: بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج2، ص 209.

(7) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 75. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 228.

(8) يُنظر: القوجوي، حاشية محبى الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي، ج3، ص 334.

ومن أساليبهم كذلك سوء أقوالهم كقوله تعالى: { وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي  
الذِّبْنَ }، كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم - سمعنا قولك، وعصينا أمرك، أو يقولون سمعناه في الجهر وعصيناه في السر،  
و في هذا الفعل مبالغة في عتوهم في الكفر، واستحقاقهم للأمر، وقلة أدبهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - (1).  
و تشتمل هذه الآية على فن فريد يسمى: (الإبهام، أو الكلام الموجه، أو المحتمل للضدين) يأتي بكلام يحتمل معنيين متضادين  
بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر، وهو قوله تعالى: { وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ }، فهو ذو وجهين محتمل للشر والخير:  
احتمال الشر: اسمع منا مدعواً عليك لا سمعت.  
واحتمال الخير: اسمع منا غير مسمع مكروهاً(2).  
وقولهم { وَرَاعِنَا }، وهذه الكلمة ذات وجهين كالسابقة، في احتمالية الخير يأتون بلفظ ظاهره طلب المُرَاعاة، وهو الرفق،  
والمُرَاعاة مفاعلة تستعمل في المبالغة في الرعي، وتأتي على وجه الكناية الشائعة التي ساوت الأصل؛ لأن الرعي من لوازمه الرفق  
بالمَرعِي، وهو طلب الخصب له، ودفع العادية عنه، وأما في احتمالية الشر فَتَحْمَلُ على السب، وهو الوصف بالرعونة(3).  
وقوله تعالى: { لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الذِّبْنَ }، هو: كيفية من كيفيات القول باللسان؛ حيث يريد باللفظ خلاف معناه  
الظاهر منه، { وَطَعْنَا فِي الذِّبْنَ }، أي: ويقدح في الدين بالاستهزاء والسخرية، وهو كناية عن الكذب وتخرب الحديث(4).  
قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا }، أي: لو أنهم بدلوا العصيان بالطاعة، ومن طاعتك الإيمان بك،  
واقترضوا على لفظ اسمع، وتبدلوا براعنا قولهم انظرننا، وعدلوهم عن الألفاظ التي تدل على الانقياد والموهمة إلى ما أمروا به، لكان  
هو خيراً وأعدل لهم عند الله - عز وجل - (5)؛ حيث دلت ( لو ) الشرطية على امتناع سماعهم وطاعتهم وعدم انقيادهم للدين،  
فناسب لهم امتناع الجزاء وهو بحصول الخير لهم، قال تعالى: { لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ }، اللام رابطة لجواب ( لو )، أي: لو سلكوا  
طريق الطاعة، لكان أفضل لهم من مسلك الاستهزاء والطعن في الدين، ويعضده ما عطف عليه، وهو { وَأَقْوَمَ }، وهي صيغة  
تفضيل مشتق من القيام الذي هو بمعنى الوضوح والظهور(6).  
قال تعالى: { وَلَكِنْ أَعْتَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا }، أي: خذلهم الله وأبعدهم عن طريق الخير بسبب كفرهم، وهم لا  
يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا يعتد به(7).

#### ثامناً: ( كلما ) الشرطية:

- (1) يُنظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج10، ص122. يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص274.  
(2) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص33. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص183.  
(3) يُنظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط3، م30، حقق هذا الجزء (ماهر حُبُوش)، ساهم في تحقيقه (ذاكر  
الحسناوي وخضر الزبيدي)، دار الرسالة العلمية، دمشق، ج6، ص66. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص76.  
(4) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص76. الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص752.  
(5) يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص275.  
(6) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص32. الهمذاني، المنتخب (ت 643 هـ)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المحيد (إعراب، معان، قراءات)،  
ط1، م6، حقق نصوصه وخرَّجه وعلق عليه (محمد نظام الدين الفتّيح)، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 1427هـ - 2006م، ج2، ص279. ابن  
عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص77.  
(7) يُنظر: الفوجوي، حاشية محبى الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ج3، ص335. المراغى، أحمد مصطفى، تفسير المراغى، ط1، م30، شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ - 1946م، مصر، ج5، ص54.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56) } [ النساء: 56 ]؛ هذه الآية الكريمة فيها من التهديد والوعيد للكفار، وتفصله لنا بأسلوب دقيق؛ فيه من الترهيب الشديد.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا }، أي: الذين جحدوا وأنكروا الآيات الكونية أو الشرعية؛ فجزأؤهم هو { سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا } هو { سَوْفَ } حرف تنفيس، يدل على تحقق وقوع الشيء، لكن بعد زمن، والتسويق: يعني التأخير، وفيها من التهديد والوعيد<sup>(1)</sup>؛ حيث قال تعالى: { نُصَلِّيهِمْ نَارًا } أصل الصلّى هو الإيقاد بالنار<sup>(2)</sup>، وعبر عنها بنون العظمة، وتتكبير { نَارًا } هو للتخميم<sup>(3)</sup>.

ثم قال تعالى: { كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا } هو { كَلَّمَا } ظرف زمان يتضمن معنى الشرط، وهو يفيد التكرار، و { نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ } النون والضاد والجيم أصل يدل على بلوغ النهاية في طبخ الشيء<sup>(4)</sup>، أي: تكرر احتراق جلودهم حتى لا يبقى فيها شيء من الحياة أو الإحساس<sup>(5)</sup>.

جاء جواب الشرط بقوله تعالى: { بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ }، أي: إذا احترق الجلد ونضج وتهرى وتلاشى عوضهم الله بجلد آخر مكانه<sup>(6)</sup>، وهذا يؤدي إلى الدوام والاستمرارية، والعلة في ذلك هي { لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ }، أي: ليلبغ بهم الألم<sup>(7)</sup>، واللام للتعليل، وعبر عن العذاب بالذوق، فصورت لنا هذه الآية الكريمة حالة العذاب، باستعارة مكنية تخيلية، حذف المشبه، وعبر بشيء من لوازمه وهو الذوق، والمقصود منه هو: ديمومة العذاب، مع ما يصاحبه من الاستكراه والألم الذي لا يكاد يوصف، كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان لدوام الملابس أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلاجه أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذاتية أشد الحواس تأثراً<sup>(8)</sup>، فناسب استعمال { كَلَّمَا } الشرطية مع { نَضِجَتْ } في استمرار العذاب.

وختمت الآية بقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا }، أي: لا يمتنع عليه شيء يريده من المجرمين؛ لأن العزة تطلب تمام القدرة في عقوبة المجرى على الله، أما الحكمة فهي وضع الشيء في موضعه، لا يعذب إلا من كان مستحقاً للعذاب بعدله، والجملة تليق لما قبلها من (الإصلاء والتبديل)، وإظهار اسم الجلالة بطريق الالتفات؛ لتحويل الأمر وترتبة المهابة وتعليل الحكم، فإن الألوهية هي مناط لجميع صفات كماله تعالى<sup>(9)</sup>.

(1) يُنظر: بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، ج1، ص 423. الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص 138.

(4) يُنظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص490.

(3) يُنظر: الألوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 89.

(4) بن فارس، أحمد (ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، بدون عدد الطبعة، م 6، تحقيق وضبط (عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399م - 1979م، ج5، ص 437.

(7) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص90.

(6) يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحیط، ج3، ص 285.

(7) الزجاج، إبراهيم بن السري (ت 311 هـ)، معاني القرآن وإعراجه، ط 1، 5 م، (شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتاب، بيروت، (1408 هـ - 1988م)، ج2، ص 65.

(8) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص 140. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 192. الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 43.

(9) يُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر (467هـ / ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، م6، تحقيق وتعليق ودراسة (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي)، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 هـ - 1998م، ج2، ص 93. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص90. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 192.

### تاسعاً: (لما) الشرطية:

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) } [ النساء: 77 ]؛ الكلام في هذه الآية مستأنف، وفيه استفهام تعجيبى، وهو تعجب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حال الذين يودون أن يؤذن لهم بالقتال، فلما كُتِبَ عليهم القتال أحجموا، فنزلت هذه الآية الكريمة<sup>(1)</sup>؛ فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: " أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَدْلَةً فَقَالَ: إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تَقَاتِلُوا فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرْنَا بِالْقِتَالِ فَكُفُّوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [ النساء: 77 ]"<sup>(2)</sup>.

وبعد أن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: { كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ } وهو كناية عن ترك القتال، وجههم إلى ما هو من الأهمية بمكان، فقال تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }؛ حيث قدمت الصلاة على الزكاة؛ لأن الصلاة هي عبارة عن التعظيم لأمر الله، والزكاة هي عبارة عن الشفقة على خلق الله، والذي لا يستطيع أن ينقاد لأمر الله تعالى، لا شك أنه يصعب عليه أن يوجد بنفسه وهو أقصى شيء يوجد به<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ } الفاء استئنافية، و (لما) هي حينية متضمنة معنى الشرط، أي: حين فرض عليهم القتال<sup>(4)</sup>؛ قال تعالى: { إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } ف { إِذَا } هي فجائية، وجواب لـ (لما) وفيها من التأكيد لأمر التعجب؛ لأن هذا الفريق لم يكن يتقرب منه هذه الحالة، مع حرصهم على القتال<sup>(5)</sup>؛ قال تعالى: { يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً }، عبر عن حالهم بالخشية ولم يعبر عنه بالخوف؛ لأن الخشية هي خوفٌ يشوبه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون عن علمٍ بما يُخشى منه، أما الخوفُ فهو توقُّعٌ مكروهٍ عن أمانةٍ مظنونَةٍ، أو معلومةٍ<sup>(6)</sup>؛ حيث شبه خشيتهم مثل خشية الذين يخشون الله، بل هم أشد خشية من الذين يخشون الله، وفيه توبيخ لهم؛ لأنهم أخروا أمر الجهاد في سبيل الله؛ لخوفهم من بأس المشركين، فالتشبيه على طريقة المبالغة؛ لأن حمل هذا الكلام على ظاهر الإخبار لا يتناسب مع حالهم من فضيلة الإيمان والهجرة<sup>(7)</sup>.

(1) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 63.

(2) النَّسَائِي، أحمد بن شُعَيْب بن علي، سُنُنُ النَّسَائِي (بشرح الحافظ جلال الدين السُّيُوطِي ت 911هـ) و (حاشية الامام البيندي ت 1138 هـ)، بدون عدد الطبعة، م 9، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم الحديث: 3086، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ الطبعة، ج6، ص310. السُّنُنُ الكُورِي، ط1، م12، قدم له (د. عبد الله بن عبد المحسن التركي)، أشرف عليه (شعيب الأرنؤوط)، حققه وخرجه أحاديثه (حسن عبد المنعم شلبي)، كتاب التفسير، حديث رقم: 11047، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ - 2001م، ج10، ص 68. آل نصر، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى، الاستيعاب في بيان الأسباب (أول موسوعة علمية حديثة مُحَقَّقة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، ط1، م3، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1425هـ، (الحديث صحيح)، ج1، ص 435.

(3) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص 191. الألويسي، رُوخ المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 147.

(4) يُنظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج3، ص 98.

(5) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 64. الألويسي، رُوخ المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 148.

(6) يُنظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 283 و 302.

(7) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص125. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 204.

## المبحث الثاني: الحذف في سياق الآيات الشرطية وأثره البياني. تعريف الحذف لغة واصطلاحاً:

أ- لغة:

تتوعدت المعاجم في بيان مصطلح الحذف، ومن هذه المعاجم:

كتاب العين للفراهيدي - رحمه الله تعالى - ( ت 170 هـ )، يعرف لنا الحذف بقوله: "الحذف: قَطْفُ الشَّيْءِ مِنَ الطَّرْفِ كَمَا يُحْدَفُ طَرَفُ ذَنْبِ الشَّاةِ"<sup>(1)</sup>.

ومنها لسان العرب: الحذف، هو: " حَذَفَ الشَّيْءُ يَحْدِفُهُ حَذْفًا: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ"<sup>(2)</sup>.

ومنها القاموس المحيط للفيروز آبادي - رحمه الله تعالى - ( ت 817 هـ )؛ حيث الحذف بأنه: " حَذَفَهُ يَحْدِفُهُ (أَسَقَطَهُ)"<sup>(3)</sup> فالحذف عنده هو الإسقاط.

نجد هذه التعريفات الواردة تنصب حول: القطف، والقطع، والإسقاط، وكلها تدور حول معانٍ متقاربة.

ب- اصطلاحاً:

تتداول كثير من العلماء ظاهرة ( الحذف ) بتعريفات متباينة، سواء كانت من الناحية النحوية أو البلاغية، أو الصوتية أو الصرفية أو المعجمية ... إلخ؛ فمن الناحية النحوية، قال ابن جني - رحمه الله تعالى - ( ت 392 هـ ) عن الحذف: " قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "<sup>(4)</sup>.

أما من الناحية البلاغية، فقد عبر عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله تعالى - ( ت 471 أو 474 هـ ) عن الحذف بكلام في غاية الدقة والروعة؛ فقال: " هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به تترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبْنِ "<sup>(5)</sup>.

## أسباب الحذف

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد ( ت 170 هـ )، كتاب العين ( مُرتبًا على حُرُوفِ المعجم )، ط1، م4، ترتيب وتحقيق ( الدكتور / عبد الحميد هندأوي )، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، ج1، ص 297.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ( 630هـ / ت 711هـ )، لسان العرب، ط1، م6، ( تحقيق: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي )، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ج2، ص 810.

(3) آبادي، محمد بن بن يعقوب الفيروز ( ت 817هـ )، القاموس المحيط، ط8، م1، تحقيق ( مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي )، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005م، ص 799.

(4) بن جني، أبي الفتح عثمان ( 321هـ أو 322هـ - ت 392هـ )، الخصائص، بدون عدد الطبعة، م3، تحقيق ( محمد علي النجار )، مطبعة دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، 1367هـ - 1957م، ج2، ص 360.

(5) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ( ت 471هـ أو 474هـ )، دلائل الأعيان، بدون عدد الطبعة، م1، قرأه وعلق عليه ( أبو فهر محمود محمد شاكر )، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة، مطبعة المني، بمصر، بدون تاريخ الطبعة، ص 146.

كل شيء له أسبابه تستدعي حدوثه، سواء كان ذلك السبب مادياً أو معنوياً، أو لغوياً، ونجد في اللغة كثيراً من الظواهر تتغير، وراء ذلك التغير عدة أسباب، ومن هذه الظواهر ظاهرة الحذف، حيث تكمن عدة أسباب أدت إلى الحذف، سنذكر شيئاً من أسباب الحذف:

1. الحذف من أجل الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، مثل: الهلال والله، يقصد به أي هذا، حذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة الحال، لو ذكر لكان عبثاً من القول<sup>(1)</sup>.

2. الحذف لتقاصر الزمان؛ حيث لا يوجد متسع في الوقت للإتيان بالمحذوف، أو الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفتيت المُهمِّ، ومن فائدة هذا الباب هو التحذير والإغراء، وهي مجتمعة في قوله تعالى: { أَقَّةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) } [ الشمس: 13 ]، التحذير، أي: أحذروا ناقة الله فلا تقربوها، والإغراء هو { وَسُقْيَاهَا }، أي: الزموا ناقة الله<sup>(2)</sup>.

3. الحذف من أجل التفتيح والإعظام؛ لما فيه من الإيهام؛ قال حازم القرطاجني في (منهاج البلغاء): "إنما يحسن الحذف ما لم يشكّل به المعنى، لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسامة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال؛ قال: "وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس". ومنه في وصف أهل الجنة، قال تعالى: { حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحْتُ أَبْوَابَهَا (71) } [ الزمر: 71 ]، "فحذف الجواب؛ إذ كان وصف ما يجودونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شأنه، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك"<sup>(3)</sup>.

4. الحذف من أجل التخفيف؛ لكثرة دورانه في الكلام، مثل: حذف حرف النداء، كما في قوله تعالى: { يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا (29) } [ يوسف: 29 ]<sup>(4)</sup>.

5. ما لا يعلم كنهه إلا الله؛ قال تعالى: { فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُهُمْ (78) } [ طه: 78 ]؛ قال الزمخشري - رحمه الله تعالى - (ت 538 هـ): "من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهما ما لا يعلم كنهه إلا الله"<sup>(5)</sup>.

6. الحذف لشهرة المحذوف، وذلك بأن يكون ذكره وعدم ذكره على حدٍ سواء، وهي نوع من الدلالة التي يكون لسانها أنطق من لسان المقال، أي هي تدل على نفسها أكثر وأفضل من النطق لشهرتها وقوتها على الدلالة، كقوله تعالى: { وَأَنْتَوُا

(1) يُنظر: الزركشي، محمد بن عبد الله (ت 794 هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط3، م4، تحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم)، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1404 هـ - 1984م، ج3، ص 105.

(4) يُنظر: نفس المصدر.

(3) يُنظر: نفس المصدر، ص 105 - 106. القرطاجني، أبي الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ط3، م1، تقديم وتحقيق (محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م، ص 353.

(2) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 106.

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص 99.



الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ (1) { [ النساء: 1]، قرأ حمزة بكسر الميم، والباقون بفتحها<sup>(1)</sup>، على قراءة حمزة تكون مجرورة، وتسبق بحرف جر، لكن حذف حر الجر في هذا الموقع لشهرته، فلا داعي لتكرار حرف الجر؛ لأنه قامت الشهرة مقام الذكر، فحذف حر الجر<sup>(2)</sup>.

الحذف من أجل مراعاة الفواصل، والفواصل هي نهاية أواخر الكلمات في الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) } [ الضحى: 3]، أي: وما قلاك<sup>(3)</sup>.

7. صيانتُه عن ذكْرِهِ تَشْرِيفًا، مثال ذلك قوله تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) } [ الشعراء: 23-28]؛ حيث حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: قبل ذكر الرب: أي هو رب السماوات.

الموضع الثاني: والله ربكم.

الموضع الثالث: والله رب المشرق.

وكان مقصد موسي - عليه السلام - هو استعظامه لحال فرعون، وإقدامه على السؤال تهيئاً وتقخيماً، فاقصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به؛ ليعرفه أنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير<sup>(4)</sup>.

9. صيانة اللسان عنه، من أجل تحقيره، كقوله تعالى: { صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) } [ البقرة: 18]، أي: هم أو المنافقون<sup>(5)</sup>.

10. الحذف من أجل العموم، كقوله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) } [ الفاتحة: 5]، أي: على العبادة، وعلى أمورنا كلها<sup>(6)</sup>.

**الحذف هو خلاف الأصل؛ وعليه ينبغي فرعان:**

**الفرع الأول:** إذا كان الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير.

**الفرع الثاني:** إذا كان الأمر بين قلة الحذف وكثرته؛ كان الحمل على قلته أولى<sup>(7)</sup>.

(4) ابن الجزري، محمد، القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر، ط4، م1، مدعمة بالأدلة (لفضيلة الشيخ جمال الدين محمد شرف)، دار الصحابة للتراث، بمصر، 1433هـ - 2012م، ص 77.

(5) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 108.

(6) يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، بدون عدد الطبعة، م 7، تحقيق (مركز الدراسات القرآنية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ج5، ص 1603.

(1) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 107.

(2) نفس المصدر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص 1603.

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص 1603.

(4) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 104.

قال عبد القاهر الجرجاني- رحمه الله تعالى - ( ت 471 هـ - 474 هـ ) عن الحذف: " ما من اسمٍ أو فعلٍ تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به"<sup>(1)</sup>.

ومما تميزت به سورة النساء كثرة أسلوب الشرط فيها، فتتوزع الحذف في الشرط، فنعكس الأثر البياني على معاني الآيات، وفيما يأتي بعض الآيات التي جاء فيها الحذف:

#### أولاً: حذف جواب الشرط:

قال تعالى: { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39) } [ النساء: 39].  
{ وَمَاذَا } هو استفهام، والمراد به التوبيخ، والذم، والإنكار لجهل مكان المنفعة، و { لَوْ } شرطية، و { آمَنُوا } فعل الشرط<sup>(2)</sup>، والمعنى: أي تَبِعَةً وَوَبَالَ تَلَحُّقَ بِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(3)</sup>.

وجواب الشرط محذوف<sup>(4)</sup>، وفيه تحريض على أعمال الفكر لطلب الجواب، لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة، وفيه تنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجب إليه احتياطاً، فكيف إذا تضمن فيه منافع لا تحصى؟! حيث قدم الإيمان هنا وآخر في الآية الأخرى لأهميته، لعدم الاعتداد بالإنفاق بدونه، وأما تقديم إنفاقهم رثاء الناس فهو دليل على عدم إيمانهم، وختمت الآية بخبر متضمن وعيداً وتنبهاً على سوء بواطنهم، وأنه تعالى مطلع على ما أخفوه في أنفسهم<sup>(5)</sup>.

قال تعالى: { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147) } [ النساء: 147]؛ في { مَا } وجهان: الوجه الأول: أنها استفهامية و معناها: النفي، والباء على هذا تكون سببية متعلقة بـ ( يفعل )، أي: إن الله لا يفعل بعذابكم شيئاً؛ لأنه لا يجلب لنفسه بعذابكم نفعاً، ولا يدفع عنها به ضرراً، فأى حاجة تكون لعذابكم؟  
الوجه الثاني: أن ( ما ) نافية، وعلى هذا تكون الباء زائدة ولا تتعلق بشيء، كأنه قيل: لا يعذبكم الله.  
ويرى السمين الحلبي- رحمه الله تعالى - ( ت 759 هـ )؛ أن هذين الوجهين في المعنى شيء واحد، فينبغي أن تكون سببية في الموضوعين أو زائدة فيهما، لأن الاستفهام بمعنى النفي فلا فرق<sup>(6)</sup>.

(1) الجرجاني، **دلائل الأبحاث**، ص 152 - 153.

(2) يُنظر: الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ج2، ص 26. ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج5، ص 54.

(7) يُنظر: لهمداني، **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد** ( إعراب، معان، قراءات )، ج2، ص 265.

(8) أجاز ابن عطية قوله تعالى: ( وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ) أن تكون جواباً لـ ( لَوْ )، فإن أراد من جهة المعنى فيسلم له، وأما من جهة الصناعة ففايد؛ لأن الجواب الصناعي لا يتقدم عند البصريين، والاستفهام لا يُجاب بـ ( لَوْ )، وأجاز أبو البقاء في ( لَوْ ) أن تكون بمعنى ( إن ) الشرطية. قال الجبائي: ولو كانوا غير قادرين، لم يجز أن يقول الله ذلك؛ كما لا يُقال لمن هو في النار مُعَذَّب: ماذا عليهم لَوْ خَزَجُوا مِنْهَا، وضاروا إلى الجنة، وكما لا يُقال للجائع الذي لا يُقَدَّر على الطعام: ماذا عليه لَوْ أَكَلَ. المصدر: يُنظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ( 481 هـ / ت 551 هـ )، **تفسير ابن عطية المُحرر الوجيز**، ط2، 8م، تحقيقي وتعليق ( الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق )، دار الخير، بيروت، 1428هـ - 2007م، ج2، ص 553. ابن عادل، عُمر بن علي ( ت 880 هـ )، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، 20م، ( تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شار في تحقيقه برسالته الجامعية: د. محمد سعد رمضان حسن، و د. محمد المتولي الدسوقي حرب )، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ - 1998م، ج6، ص 381.

(5) يُنظر: الفوجوي، **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي**، ج3، ص 323. وأبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، ج3، ص 260. وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج2، ص 177.

(6) يُنظر: الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين ( ت 756 هـ )، **النثر المصون في علوم الكتاب المكنون**، بدون عدد الطبعة، 11م، تحقيق ( د. أحمد محمد الخراط )، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ الطبعة، ج4، ص 133.

{ إن } شرطية، و { شَكَرْتُمْ وَأَمْنْتُمْ } فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، وأمنتم معطوفة على شكرتم، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن شكرتم وأمنتم فما يفعل الله بعذابكم<sup>(1)</sup>، يقول الزمخشري: " أيتشفى به من الغيظ، أم يدرك به الثأر، أم يستجلب به نفعاً، أم يستدفع به ضرراً، كما يفعل الملوك بعذابهم؛ وهو الغنى الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء، فإن قمتم بشكر نعمته وأمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب"<sup>(2)</sup>. ولماذا قدم الشكر على الإيمان في هذه الآية الكريمة؟

الجواب: لأن الإيمان مقدم على سائر الطاعات، ولا يَنْفَعُ الشُّكْرُ مع عَدَمِ الإِيمَانِ، والواو هنا لا توجب الترتيب، وإذا تأمل الإنسان إلى نفسه؛ رأى النِّعْمَةَ العَظِيمَةَ في تَخْلِيْقِهَا وَتَرْتِيْبِهَا، فيشكر شُكْرًا مُجْمَلًا بِهَا، ثم إذا أَمِنَ النظر في معرفة المُنْعِمِ، آمَنَ به ثم شكر شُكْرًا مُفَصَّلًا، فكان الشُّكْرُ المَبْهَمُ مُقَدِّمًا على الإِيمَانِ؛ من أجل ذلك قُدِّمَ عليه في الذكر<sup>(3)</sup>.  
ذُيْلَ الآية على سبيل التعليل<sup>(4)</sup>، بقوله: { وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا }، أي: فهو يثيب عباده المؤمنين على شكرهم، وسمى الجزاء شكرًا على سبيل الاستعارة، وأتى بصفة الشكر<sup>(5)</sup> باسم الفاعل بلا مبالغة، مما يدل على قبوله أقل شيء من العمل وأنه يُنَمِّيهِ، والشكر من العبد طاعة، { عَلِيمًا } أتى بها على صيغة ( فعيل ) فيها من المبالغة في وصفه بالعلم بجميع المعلومات، فلا يقع له الغلط البتة، فهو سبحانه - تعالى - يوصل الثواب إلى الشاكر، والعقاب إلى المعرض، وفيها تحذير وندب إلى إخلاص العمل لله - تعالى -<sup>(6)</sup>، والجميع بين صِفَتَيْ ( الشكر والعلم ) فيها من البلاغة المناسبة للسياق ما لا يخفى.

#### ثانياً: حذف جواب ( لو ) الشرطية:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135) } [ النساء: 135 ]؛ جاءت هذه الآية الكريمة بخطاب فيه نداء مما يدل على أهميته؛ وخص بهذا النداء أهل الإيمان، وكفى به شرفاً أن يوجه إليهم النداء باسم ( المؤمنين )<sup>(7)</sup>.

ثم قال تعالى: { كُونُوا قَوَّامِينَ } صيغة مبالغة، والقيام هو مراعاة الشيء والحفاظ عليه، وعدم الإخلال به في أي حال من الأحوال<sup>(8)</sup>.

(3) يُنظَر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 141. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج2، ص 247.

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 169.

(5) يُنظَر: إبراهيم، غلاء الذين علي بن محمد ( ت 725 هـ )، تفسير الخازن المسمى ( لباب التأويل في معاني التنزيل )، ط1، ص4، ضبطه وصححه ( عبد السلام محمد علي شاهين )، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ - 2004م، ج1، ص 441. ابن عادل، ( ت 880 هـ )، اللباب في علوم الكتاب، ج7، ص 94.

(6) يُنظَر: الآلوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 361.

(7) الفرق ما بين ( شاكر - شكور ): استعمال القرآن اسم الفاعل ( شاكر ) فهي لا تقتضي المبالغة، وأما استعمال ( شكور ) فيها صيغة المبالغة، فكل ما ذكر الله فيه عن نفسه أنه ( شكور ) جاء في سياق مضاعفة الأجر والزيادة من فضله سبحانه، بخلاف اسم الفاعل. المصدر: الشامرائي، فاضل صالح، من أسرار البيان القرآني، ط2، م1، دار ابن كثير، دمشق، لبنان، 1440هـ - 2019م، ص 38-39.

(8) يُنظَر: إبراهيم، تفسير الخازن المسمى ( لباب التأويل في معاني التنزيل )، ج1، ص 441. أبو حيان، تفسير البحر المحیط، ج3، ص397. ابن عادل، ( ت 880 هـ )، اللباب في علوم الكتاب، ج7، ص 95. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 247.

(7) يُنظَر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج2، ص 324.

(8) يُنظَر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 690. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 224.

قال تعالى: { بِالْقَسْطِ شَهِدَاءَ لِلَّهِ } القسط هو النَّصيب<sup>(1)</sup>، فما الحكمة في تقديم الأمر بقيام القسط على الأمر بالشهادة؟  
يقول الرازي - رحمه الله تعالى - ( ت 604 هـ ) تقديمه له ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: لأنه كثير من الناس عادتهم يأمرون غيرهم بالمعروف، فإذا آل الأمر إلى أنفسهم تركوه حتى أن أقبح القبيح إذا صدر عنهم كان في محل المسامحة وأحسن الحسن، وإذا صدر عن غيرهم كان في محل المنازعة؛ فالله سبحانه وتعالى ينبه في هذه الآية على سوء هذه الطريقة، ولذلك أمر الله - عز وجل - القيام بالقسط أولاً، ثم أمرهم بالشهادة ثانياً.  
الوجه الثاني: القيام بالقسط هو عبارة عن دفع ضرر العقاب على الغير، وهو الذي عليه الحق، ودفع الضرر عن النفس مقدم عن دفع الضرر عن الغير .

الوجه الثالث: القيام بالقسط هو عبارة عن القيام بفعل، أما الشهادة فهي عبارة عن قول، والفعل أقوى من القول<sup>(2)</sup>.  
ثم قال تعالى: { وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ } ( لَوْ ) هنا شرطية، و{لَىٰ أَنفُسِكُمْ} متعلقة بمحذوف، لحذف كان واسمها، أي: لو كانت الشهادة على أنفسكم، وجواب ( لو ) الشرطية محذوف، وهي من أطف ضروب الإيجاز وأحسنها، والمعنى: فلا تمتعوا عن أداة الشهادة<sup>(3)</sup>.

ومن ثمَّ تجلي لنا هذه الآية الكريمة دقة في الشهادة، وترتيباً في الاستقصاء في غاية الحسن وال فصاحة، إذ جاءت ( لو ) الشرطية هنا لاستقصاء جميع ما يمكن فيه الشهادة، والبداية تكون الشهادة من الإنسان على نفسه، لا يقيمها لما جبل عليه من محاباة نفسه ومراعاتها؛ لأنه لا يعز عليه شيء أكثر من نفسه، ثم ذكرت لنا الآية الأقرب للإنسان بعد نفسه وهما الوالدين، لأنهم كانوا سبب نشأته، وقد أمر ببرهما وتعظيمهما، ثم ذكرت لنا ما بعد الوالدين، وهما الأقربون؛ لأنهما مظنة المحبة والتعصب، وإذا كان هؤلاء قد أمر الله - عز وجل - في حقهم القسط بالشهادة عليهم، فكيف الحال مع الأجنبي.

ثم بينت لنا الآية حال المشهود عليهم، وعدم التأثير بحالهم حتى لا يضيع الحق؛ قال تعالى: { إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا }، أي: إن كان غنياً فلا تمنع الشهادة عليه لغناه، أو فقيراً فلا تمنعها ترحماً أو تعاطفاً أو إشفاقاً عليه، { فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا } فهي ليست جواباً، ولكنه دليله وعلته، أي: شرع الله الشهادة عليهما، فهو أعلم بما هو أصلح وأنفع لهم، وليس عليكم إلا النظر في الحق<sup>(4)</sup>.

ثم نهت الآية عن أمرين في الشهادة هما في غاية الأهمية؛ قال تعالى: { فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا }، أي: ترك متابعة الهوى؛ حتى توصفوا بصفة العدل، من ترك أحد النقيضين فقد حصل له الآخر<sup>(5)</sup>، ثم قال تعالى: { وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا }، أي: يلوي الشاهد لسانه بالشهادة من أجل عدم ذكر الحق، وهي كناية عن الكذب وتخريف الحديث<sup>(6)</sup>، والإعراض

(4) يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص 48.

(5) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص 74.

(3) يُنظر: الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ج2، ص 128. ابن الأثير، **ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، بدون طبعة، م4، قدمه وعلق عليه ( د.

أحمد الحوفي و د. بدوي طيبانه )، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، بدون تاريخ الطبعة، القسم الثاني، ص 307.

(4) يُنظر: أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، ج3، ص385-386. ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج5، ص227.

(2) يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص75.

(6) يُنظر: بن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ( ت 597 هـ )، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب ( غريب القرآن )**، ط1، م1، تحقيق ( طارق فتحي السيد )، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1425 هـ - 2004 م، ص 74. الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 752.

هو ترك إقامتها رأساً<sup>(1)</sup>، ثم قال تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } فحتم الآية بالتهديد و الوعيد لمن لوى عن الشهادة، أو أعرض عنها، وعد بالإحسان لمن أطاعه<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: حذف الفاعل:

قال تعالى: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدَّوْا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) } [النساء: 140]، ملاحظة: اسم ورقم الآية تجلى لنا هذه الآية أسلوب النهي عن شيء، ثم بيان ما يترتب على انتهاك تلك الحرمة<sup>(3)</sup>، فضمير الخطاب موجه إلى المؤمنين، وأما ضمائر الغيبة فهي موجهة إلى المنافقين، حيث أسند الفعلين { يُكْفَرُ } و { وَيُسْتَهْزَأُ } إلى المجهول لتتأني - بحذف الفاعل - صلاحية إسناد الفعلين إلى الكافرين والمنافقين، وفيه إيضاح إلى حال المنافقين، وهم يركنون إلى المشركين واليهود؛ لأنهم يكفرون بالآيات ويستهزئون، فتشرح صدور المنافقين؛ لأن المنافقين يتعذر عليهم إظهار ذلك أمام المسلمين، فيشفي غليلهم أن يسمع المسلمون ذلك من الكفار<sup>(4)</sup>.

### رابعاً: حذف المفعول به:

حُذِفَ المفعول به من أجل إفادة العموم، كقوله تعالى: { وَلِيُخْشِيَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) } [النساء: 9]؛ ففيه إيجاز بالحذف في قوله تعالى: { وَلِيُخْشِيَ } و { خَافُوا }.

حذف مفعول ( يخشى ) والغرض من حذفه هو أن تذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب محتمل، فينظر كل سامع بحسب الأهم عنده مما يخشاه أن يصيب ذريته<sup>(5)</sup>، وقد ابن عطية حذف مفعول ( يخشى ) لدلالة الكلام عليه، ومن وحسن حذفه يتقدر فيه من التخويف بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا، فينظر كل متأول بحسب الأهم في نفسه<sup>(6)</sup>، و حذف مفعول { خَافُوا } والغرض منه؛ " لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، ولتقتن في تصوير الخوف من المصير المحتوم الذي يؤول إليه أمر الضعاف في هذه الحياة، ولك أن تقدره بمثل الضياع والهيام والتشرد في مسارب الحياة ومسالكها المتشعبة، من دون كافل يكلهم، أو مدبر يدبر شؤونهم"<sup>(7)</sup>.

### خامساً: حذف الصفة:

(4) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 242.  
(2) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص 75. أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج3، ص 386.  
(3) يُنظر: الشنقيطي، محمدمو الملقب لب بن أباه، حذف الشرط والحواب في آيات الكتاب، ط1، م1، دار الإبراء للطباعة والنشر والتوزيع، نواكشوط - موريتانيا، 1441 هـ \_ 2019م، ص 74.  
(7) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 234 - 235.  
(5) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص 252.  
(6) يُنظر: ابن عطية، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز، ج2، ص 476.  
(7) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص 622.

حذف الصفة يُعدُّ قليل الاستعمال في الكلام لمكان استبهامه، ولا يكاد يوجد في كلام الله - عز وجل<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ (12) [ النساء: 12].

وقد أجمع العلماء على أن الإخوة في هذه الآية يقصد به من الأم، وحذف الصفة كان اعتماداً على ظهورها اختصاراً؛ فعن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقرأ " وله أخٌ أو أُختٌ من أم". وعن أبي: " من الأم"<sup>(2)</sup>، وقال الآلوسي: " وهذه القراءة وإن كانت شاذة؛ إلا أنَّ كثيراً من العلماء استند إليها بناءً على أنَّ الشاذَّ من القراءات إذا صحَّ سندهُ كان كخبر الواحد في وجوب العمل به، خلافاً لبعضهم"<sup>(3)</sup>.

حذف الصفة يكون للتخيم والتعظيم في النكرات؛ بحيث يصبح التكرير حينئذ علم عليه، كقوله تعالى: { وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا (79) [ النساء: 79]، أي: جامعاً لأفضل وأكملها صفات الرسل<sup>(4)</sup>.

#### سادساً: حذف الموصوف:

حُذِفَ الموصوف في قوله تعالى: { مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (46) [ النساء: 46]، تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم، مما أفاد هذا الحذف شيوع الصفة فيهم جميعاً، كأنه يشير إلى أن الراضي عن هذا الفعل فهو كالمشارك فيه<sup>(5)</sup>.

#### سابعاً: حذف المبتدأ:

حُذِفَ المبتدأ في قوله تعالى: { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ (81) [ النساء: 81]، فقوله { طَاعَةٌ } خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أمرنا وشأنها طاعة، أو بالعكس، أي: عندنا أو مِنَّا طاعة<sup>(6)</sup>، ودل حذف المبتدأ على الانتظام في الطاعة لكل أمورهم وأحوالهم، وبحسب زعمهم، فإذا ما كان الأمر خلافه تبيين مدى ما هم فيه من الضلال<sup>(7)</sup>.

#### ثامناً: دلالة العقل على الحذف:

العقل صفة من صفات المخاطبين باللغة، قد يحذف المتكلم بعض هذه العناصر التي يستطيع السامع أن يفهمها ويدركها بعقله، كقوله تعالى: { حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ ... (23) [ النساء: 23]، فإن العقل هو الذي يدل على الحذف،

(1) يُنظر: عبد السلام، مصطفى، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، بدون عدد الطبعة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 91.

(2) يُنظر: ابن عطية، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز، ج2، ص 487. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص

39. أبو حيان، تفسير البحر المحیط، ج3، ص 198. عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص 91.

(3) الآلوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج5، ص 367.

(7) يُنظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 155 - 156.

(5) يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 86. الحلبي، النُّزُ المصنوع في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص

694. عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص 86 - 87.

(6) قال الزجاج: قال النحويون تقديره: أمرنا طاعة. وقال بعضهم مِنَّا طاعة. المصدر: الزجاج، إبراهيم بن السري (ت 311 هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ط 1، ص 5 م، (شرح

وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شليبي)، عالم الكتاب، بيروت، (1408 هـ - 1988 م)، ج2، ص 81.

(7) يُنظر: الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المحيد (إعراب، معاني، قراءات)، ج2، ص 307. عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص 45.

فالأحكام تتعلق بالأفعال دون الأعيان، أي: لا يتعلق التحريم بأسماء الذوات فيحمل على تحريم ما يقصد من تلك الذات غالباً، وتحريم الأمهات، يقصد به نكاحهن<sup>(1)</sup>.

#### تاسعاً: حذف القسم:

قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ قَالَ فَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) } [ النساء:72].  
فقوله تعالى: { لَيُبَطِّئَنَّ } فيه قولان، أحدهما: أنه جواب لقسم محذوف، وتقديره: إن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن، فحذف القسم لدلالة الجواب عليه ولتوفر العناية على الجواب ذاته، وحقيقة الإبطاء: إطالة المدة في العمل لقلّة الدافع إليه، وعكسه الإسراع<sup>(2)</sup>، فنجد لفظة { لَيُبَطِّئَنَّ } في غاية الدقة، وهي معبرة عن كل ما فيها من النّقل والتعثر؛ فإن اللسان ليشعر بتقل وتعرّش وشدة في نطقها، وإنها لتصور لنا الحالة النفسية المصاحبة لها بأكمل صورة بما فيها من التعثر والنقل.  
وهذا من بديع التصوير الفني في القرآن، فترسم لنا هذه الكلمة حالة المشاهد بكل ما فيه من حركة وحالة نفسية بلفظة واحدة، إنه الإعجاز!<sup>(3)</sup>، فإن أسلوب التوكيد في هذه الآية جاء بشتى المؤكّدات؛ قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ } التأكيد بـ ( إِنَّ )، وبلاد التأكيد التي يسميها النحاة (المزحقة)، ونون التوكيد الثقيلة، واستعمال الفعل المضعّف، وزيادة الحروف هي زيادة في المعنى. وجميع هذه المؤكّدات فيها من التخويف والترهيب لكل من تبطّ نفسه، أو تبطّ غيره<sup>(4)</sup>.

#### المبحث الثالث: التأكيد في سياق الآيات الشرطية وأثره البياني.

اللغة هي وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس، وهي طريقة من طرق الإقناع والافتتاح؛ حيث يعبر بها المتحدث عما يجول في خاطره، من أجل أن يفهم السامع.  
ولهذه اللغة أساليب متعددة بحسب ما يطلبه المقام، ومن هذه الأساليب أسلوب التوكيد، وهذا الأسلوب في غاية الأهمية والدقة. وجاء في (المفصل): "وَجَدَوِي التأكيد أنك إذا كررت؛ فقد قررت المؤكّد، وما علّق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه، وأمطت شُبّهة، رُبّما خالجه، أو توهمت غفلةً ودّهابةً عما بصّده، فأزلته"<sup>(5)</sup>، والعرب لا تؤكد إلا ما تراه يحتاج إلى توكيد، بحسب حاجته. ونجد القرآن الكريم قد راعى أسلوب التوكيد أدق المراعاة في جميع المواطن، بأروع صورة، وأجمل بيان في ألفاظ متناسقة لها، مما كان له الأثر في النفوس والأذان، لأن هذا القرآن هو كتاب دعوة وهداية، ومن حكمة الله - عزوجل - أنه خاطب الناس على قدر مداركهم، بالوسائل التي تبعث في تحريك مشاعرهم، وتجذبهم إلى الخير، وتبعدهم عن الشر، ولهذا السبب تنوعت أساليب القرآن الكريم.

(1) يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 49. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص 2942.  
(2) يُنظر: الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المحيد (إعراب، معان، قراءات)، ج2، ص297. الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج4، ص 29.  
عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص126.  
(6) يُنظر: قطب، سيّد، في ظلال القرآن، ط32، م6، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1423هـ - 2003م، ج2، ص 705.  
(1) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص 58.  
(5) ابن يعيش، يعيش بن علي (ت 643 هـ)، شرح المفصل للزمخشري، ط 1، م 6، (قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: ك. إميل بديع يعقوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2001م، ج2، ص 221.

## مفهوم التوكيد لغة واصطلاحاً:

### أ- التوكيد لغة:

قال ابن فارس- رحمه الله تعالى - ( ت 395 هـ ): " ( وكذ ) الواو والكاف والذال: كلمة تدلُّ على شِدِّ وإحكام. وأوكِذ عَفْذَك، أي: شُدّه<sup>(1)</sup>، وقال ابن منظور- رحمه الله تعالى - ( ت 711 هـ ) " وَكَذَّ الْعَفْذُ: أوثَقَهُ، والهَمْزُ فِيهِ لُغَةٌ، يُقَالُ: أَوْكِذْتُهُ وَأَكْذَنْتُهُ إِكْيَادًا وَبِالْوَاوِ أَفْصَحُ، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: التَّوَكِيدُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ لِإِخْرَاجِ الشُّكِّ"<sup>(2)</sup>، ونلاحظ مما سبق أن المعاني متقاربة، وهي تشترك في معنى الشدة والتوثيق.

### ب- التوكيد اصطلاحاً:

التوكيد هو: لفظ يتبع الاسم المؤكد في إعرابه من أجل رفع اللبس، وإزالة الاتساع<sup>(3)</sup>.  
وعرف الجرجاني التأكيد بقوله: "التأكيد تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول، وقيل عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله"<sup>(4)</sup>.

تنوع أسلوب التوكيد في سورة النساء، وسنعرض بعضاً من هذه الأساليب المتنوعة.

### أولاً: التأكيد بالتركرار:

#### تكرير حرف معين

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِنُدْهَبُوا بِبَعْضِ مَا اتَّيْنُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبِيرًا كَثِيرًا (19) } [ النساء:19]؛ حيث تكرر حرف ( لا ) في هذه الآية مرتين، مما يؤكد النفي، والمعنى: لا يحل لكم أن ترتوا النساء، ولا أن تعضلوهن<sup>(5)</sup>.  
والأثر البلاغي لهذا التأكيد هو تحديد حق من حقوق المرأة المهضومة في العصر الجاهلي، وجاءت بصيغة النهي الصريح بعدم الإباحة بإخذ إرث النساء كرهاً، ولا بمنعهن من حقوقهن بالضبط عليهن<sup>(6)</sup>، وصيغة النفي لها أثر أبلغ في النفس، وتدفع صاحبها إلى سرعة الاستجابة والالتزام، وخاصة فيما يتعلق بالأحكام، وينعكس ذلك على الفرد والجماعة.  
ويذكر الدكتور محمود توفيق عبارة جميلة عن المنهيات الآتية في صورة نفي؛ حيث يقول: "ومن خلال التبصر في كثير من المنهيات الآتية في صورة نفي؛ بدا لي أن تلك المنهيات ذات خطر عظيم في الأمة فرداً وجماعة؛ إما لذاتها أو لمقامها وملابساتها"<sup>(7)</sup>.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص 138.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص 4905.

(5) يُنظَر: ابن جَبِّي، أَبِي الْفَتْحِ عَثْمَانُ، أَلْمَعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَدُونِ عَدَدِ الطَّبَعَةِ، م1، تَحْقِيقُ: (سَمِيحُ أَبُو مَغْلِي)، دَارُ مَجْدَلَاوِي لِلنَّشْرِ، 1988م، ص 66.

(4) الجرجاني، علي بن محمد الشريف ( 740 هـ / ت 816 هـ )، كِتَابُ التَّعْرِيفَاتِ، ( طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ )، م1، مَكْتَبَةُ لُبْنَانَ ( سَاحَةُ رِيَاضِ الصَّلْحِ )، بِيْرُوت، 1985م، ص 51.

(1) يُنظَر: الحلي، النُّزُّ الْمُضَوَّنُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْتُونِ، ج3، ص 630.

(2) يُنظَر: ابن عاشور، تَفْسِيرُ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ، ج4، ص 282.

(3) سعد، محمود توفيق، صُورَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، ط1، م 1، مطبعة الأمانة، 1413 هـ - 1993م، ص 95.



## ثانياً: تنوع أسلوب التوكيد:

جاءت المؤكدات متنوعة في هاتين الآيتين فيما يختص بالميراث؛ حيث قال تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَنْدُرُونَ أَيْهَمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ النَّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاءَهُ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) } [ النساء : 11-12].

## ثالثاً: التأكيد بالمصدر:

قال تعالى: { فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ } فريضة: مصدر لفعل محذوف، أي: فرض الله ذلك فرضاً<sup>(1)</sup>، وهذا من باب التأكيد على الالتزام والانقياد لحكم الموارث، { وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ } مصدر مؤكد، أي: يوصيكم الله بذلك وصية<sup>(2)</sup>، وهذا كذلك من باب التوكيد على الوصية.

وهنا سؤال: ما هي الحكمة من ختم الآية الأولى بـ { فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }، والآية الثانية بـ { وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ }؟

الجواب عن ذلك: فإن الآية الأولى شاملة للضعفاء من النساء والأيتام الذين هضمت حقوقهم؛ فهي بحاجة إلى مؤكدات كثيرة لترسيخ حقوقهم، فعبر بلفظ ( فريضة )، والفرض لا يكون إلا من الله - عزوجل -، فهي أقوى وأكد من لفظ الوصية، والتتوين للتخيم، وأكد بـ(إِنَّ) وبالجملة الاسمية<sup>(3)</sup>. وتناسب خاتمة الآية الأولى بمضمونها؛ قال تعالى: { كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (4) أي: عليماً بمصالح العباد، وحكياً فيما فرضه عليهم، من قسمة الموارث وغيرها<sup>(5)</sup>.

أما الآية الثانية: فهي مختصة بميراث الأزواج والأخوة، وحالة الضعف فيها أقل من الأولاد والآباء؛ فالحاجة إلى التأكيد أقل، وتناسب خاتمة الآية بمضمونها؛ قال تعالى: { وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ }، أي: عليم بمن يجور ولا يعدل في وصيته، وحليم على الجائر لا يعاجله بالعقوبة، وهذا فيه تهديد و وعيد من الله<sup>(6)</sup>.

(1) يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 37. الحلبي، الدر المنثور في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص 630.

(2) يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 39.

(3) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص234. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الشروق اللغوية، بدون عدد الطبعة، م1، حققه وعلق عليه (محمد إبراهيم سليم)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ الطبعة، ص 223. الألوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج5، ص 371.

(4) لماذا قيل: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمًا حَكِيمًا) مع أنه لم يزل كذلك؟

الجواب عن ذلك: قال الخليل: الخبر عن الله تعالى بهذه الألفاظ، كالخبر بالحوال والاستقبال؛ لأنه تعالى مُنَزَّهٌ عن الدخول تحت الزمان.

وقال سيبويه: القوم لما شاهدوا علماً وحكمةً وفضلاً وإحساناً تعجبوا، فقيل لهم: إن الله كذلك، ولم يزل موصوفاً بهذه الصفات. المصدر: يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص 229. ابن عادل، (ت 880 هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ج6، ص 222.

(5) يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 37.

(6) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص 234.

ومن المؤكدات تكرار لفظ الجلالة (الله)، ويدفع هذا التأكيد إلى مراقبة الله - عزوجل - في مثل هذه الحقوق من المواريث والعدل فيها.

#### رابعاً: التأكيد بتقديم المسند:

مجيء التأكيد بتقديم المسند، كما في قوله تعالى: { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ } له سر بلاغي في غاية الروعة، ويجليها لنا ابن عاشور؛ إذ أصبح حظ الأنثيين هو القيمة والمقدار الذي يقدر به حظ الذكر، ولم يكن قد تقدم تعيين حظ للأنثيين حتى يقدر به، فيعرف المراد من تضعيف حظ الذكر من الأولاد على حظ الأنثى منهم، كان بالإمكان أن يقال للأنثى نصف حظ الذكر، أو للأنثيين مثل حظ الذكر، وليس المقصود إلا بيان المضاعفة، لكنه جيء بهذا التعبير من أجل نكتة لطيفة وهي الإيماء إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر؛ لأنه كان حظ الأنثى في الجاهلية مهضوماً، فأقبل الإسلام ينادي بحظها، وجعل قسمة المال تكون باعتبار عدد البنين والبنات<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: التأكيد بتقديم الخبر.

وذلك كما في قوله تعالى: { فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ }، { فَلَهَا النِّصْفُ }، { فَلَامِهِ الثُّلُثُ }، { فَلَامِهِ السُّدُسُ }، { وَلَهُنَّ الرُّبْعُ }، { فَلَهُنَّ الثُّمُنُ }، { فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ }<sup>(2)</sup>، والغرض من تقديم الخبر هو تأكيد حق التملك والاهتمام بأحكامه.

#### سادساً: التأكيد بالاعتراض.

جاءت الآية مؤكدة بجملة اعتراضية، كما في قوله تعالى: { أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا }، وقعت بين قوله تعالى: { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ }، وبين قوله تعالى: { فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ }<sup>(3)</sup>؛ يقول الزمخشري: " هذه جملة اعتراضية، ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه وبين ما يناسبه"<sup>(4)</sup>؛ حيث أفاد التوكيد بالجملة الاعتراضية الترغيب في تنفيذ الوصية؛ لأن عقول البشر لا تحيط بكل مصالحها، فربما يعتقد في شيء يظنه خيراً له، فيقدم عليه، أما التدبير الإلهي فهو أفضل وأنسب لمصلحة الإنسان، فكأنه الله - عز وجل - يقول لهم: اتركوا تقديرات الميراث التي تقدرونها بعقولكم، وانقادوا للمقادير التي قدرتها لكم<sup>(5)</sup>.

#### سابعاً: التأكيد ب (الباء).

قال تعالى: { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا }<sup>(6)</sup> ]

(1) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص257.

(2) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص 625 و 626 و 630.

(3) يُنظر: الحلبي، الدر المصنوع في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص 605.

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص 37.

(5) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 150. ابن عادل، (ت 880 هـ) ، اللباب في علوم الكتاب، ج6، ص 221.

النساء:6]، من طبيعة النفس البشرية الميل إلى المال وحبه، وربما هذا الحب يعمي ويصم ويبعده عن أداء الحقوق، فكان من المناسب ختم هذه الآية بقوله تعالى: { وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا }<sup>(1)</sup> الكفاية هي سدُّ الخلة وبلوغُ المراد في الأمر<sup>(2)</sup>، أي: كافيًا بالله محاسبًا، فلا تختلفوا فيما أمرتم به، ولا تتجاوزوا فيما حُدد لكم، والباء في لفظ الجلالة للتوكيد؛ قال: (حسيباً) ولم يقل (شهيذاً)؛ لأن المقام مقام تهديد ووعيد لولي اليتيم، وإعلام له من الله أنه يعلم باطنه، كما يعلم ظاهره، بحيث يتقي الله في هذا المال<sup>(3)</sup>.

#### ثامناً: التوكيد عن طريق القصر بـ (إنما).

عندما كان النزاع في الوجدانية من حيث الإلهية لا من حيث الذات، جاء الرد الإلهي على هذا النزاع<sup>(4)</sup>؛ بقوله تعالى: { إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ (171) } [النساء:171]، والكلام هنا مستأنف؛ لتأكيد صفة الواحدانية، فقصر الموصوف على الصفة<sup>(5)</sup>؛ قال ابن عطية: " { إِنَّمَا } في هذه الآية حاصرة، اقتضى ذلك العقل في المعنى المتكلم فيه، وليست صيغة { إِنَّمَا } تقتضي الحصر، ولكنها تصلح للحصر وللمبالغة في الصفة وإن لم يكن حصر، نحو: إنما الشجاع عنتره<sup>(6)</sup>؛ حيث دل هذا الحصر على أن الله تعالى هو إله واحد، وقوله تعالى: { وَاحِدٌ } هي زيادة للتأكيد<sup>(7)</sup>.

#### تاسعاً: التأكيد بـ (قد).

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) } [النساء:48]؛ حيث خاطب الله - عز وجل - أهل الكتاب بصيغة المنادي لهم من محل البعد، ولم يسند الإيتاء إليه تحقيراً لهم، وحذرهم من عدم الإيمان به، وأنه لا يغفر لمن يشرك به، فلما أخبر عن عدله أخبر بعد ذلك عن فضله؛ فصورة لنا خاتمة الآية تشنيع حال الذين فضلوا الشرك على الإيمان؛ قال تعالى: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ إِظْهَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ؛ مِنْ أَجْلِ زِيَادَةِ تَقْبِيحِ الْإِشْرَاكِ، وَتَقْضِيحِ حَالِ مَنْ يَنْصَفُ بِهِ، وَعَبَّرَ بِ ( قَدْ ) حَرْفِ تَحْقِيقٍ وَتَأْكِيدٍ، وَ { افْتَرَى }، أَي: الْكُذْبِ الَّذِي لَا شَبَهَةَ لِلْكَاذِبِ فِيهِ، وَظَهَرَ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَبَدَنِهِ، مَظْهَرًا لِلْغَيْرِ أَنَّهُ آثِمٌ، فَلَمْ يَجْعَلْ لِلصَّلَاحِ أَوْ لِلْعَفْوِ عَنْهُ مَوْضِعًا؛ فَنَاسِبِ السِّيَاقِ هَذَا التَّأْكِيدَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ضَلُّوا وَهَمَّ عَلَى عِلْمٍ وَتَعَمَّدَ وَعَنَادَ<sup>(8)</sup>.

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) } [النساء:116]؛ عندما نتأمل في خاتمة الآية الأولى { فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }، وخاتمة الآية الثانية { فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }، نجد

(1) يُنظَر: البقاعي (ت 855هـ- 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص 199.

(2) يُنظَر: الأصفهاني (ت في حدود 425 هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، ص 719.

(3) يُنظَر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص 200. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص 247. بن عجيبة، أحمد بن محمد (1161هـ - 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، بدون عدد الطبعة، م 4، تحقيق وتعليق (أحمد عبد الله القرشي رسلان)، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ - 1999م، ج1، ص466.

(4) يُنظَر: البقاعي (ت 855هـ- 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص 522.

(5) يُنظَر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص162. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص 58.

(6) ابن عطية، تفسير ابن عطية المخرر الوجيز، ج2، ص 74.

(7) يُنظَر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، ج2، ص 517.

(8) يُنظَر: البقاعي (ت 855هـ- 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص 294 و 298. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 187. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص 84.

كل آية ختمت بما يناسبها مع السياق، مؤكدة بـ( قد ) وهي حرف تحقيق وتأكيدي؛ فالآية الأولى كانت في أهل الكتاب؛ لأنهم مطلعون من كتبهم على ما لا يشكون في صحته من أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجوب اتباع شريعته، ونسخها لجميع الشرائع، ومع ذلك أشركوا بالله على ما عندهم من العلم في توحيد الله، فصارا ذلك افتراء واختلاقاً، وفيه من المبالغة والجرأة على الله، أما الآية الثانية فنزلت في المشركين، وليس عندهم علم، ومع ذلك فقد جاءهم الهدى من الله، ولكنهم نكثوا عن طريق الرشاد، وأشركوا بالله فضلوا ضلالاً أبعدهم عن الحق وأهله<sup>(1)</sup>.

وتكرار الكلمة للتأكيد في قوله تعالى: { لَا يَغْفُرُ }، و{ وَيَغْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }؛ فالغاية من التكرار هي التأكيد والتشديد. و{ يُشْرِكُ }، و{ يُشْرِكُ } والغاية من هذا التكرار هو التأكيد<sup>(2)</sup>.

### عاشراً: التأكيد بالسين.

قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175) } [ النساء: 175]، السين في قوله تعالى: { فَسَيُدْخِلُهُمْ } تنفيد شيئين:  
الأول: تحقيق الوعد، والحث على المثابرة، والاستمرارية في العمل.  
الثاني: القرب، وهو قرب الآخرة من الدنيا، فما بين الإنسان وبين الآخرة إلا أن تفارق الروح الجسد<sup>(3)</sup>.  
قال تعالى: { فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ }، فيها مجاز مرسل؛ فالرحمة لا يحل فيها الإنسان، فهي معنى من المعاني، ولكنه يحل في مكانها وهي الجنة، فاستعمال الرحمة في مكانها هي مجاز أطلق فيه الحال، وأريد المحل، فعلاقته الحالئية<sup>(4)</sup>.  
وتتوین { رَحْمَةً } و{ وَفَضْلٍ } من أجل التخييم، وقدم ذكر الوعد بالإدخال في الرحمة أو الثواب أو الجنة على الوعد بالهداية إليه، وهذا على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين؛ للمسارة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي<sup>(5)</sup>.  
ولفظه { مُسْتَقِيمًا } تدل على التوكيد، إذ يرى بعض العلماء أنها حال مؤكدة، وليس كقولك: " تبيم ضاحكاً " لمخالفتها لصاحبها بزيادة الصفة وإن وافقته لفظاً<sup>(6)</sup>.

### الحادي عشر: التأكيد بـ(سوف).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ غُدُوًّا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) } [ النساء: 29 - 30]،

(1) يُنظر: آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، (ط3)، م6، تحقيق (الأستاذ محمد علي النجار)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج1، ص174. أبو حيان، تفسير البحر المحیط، ج3، ص367. ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص202.

(2) يُنظر: الزمخشري، إكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الإقاول في وجوه التأويل، ج2، ص149. القوجوي، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي، ج3، ص40. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص233.

(3) يُنظر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، ج2، ص532. البقاعي (ت 855هـ - 1480م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والشو، ج5، ص528.

(4) يُنظر: الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج2، ص166.

(5) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص263.

(6) يُنظر: الحلبي، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج4، ص171.

تصدر الخطاب بالنداء والتنبية بـ { يَا أَيُّهَا } إظهار كمال العناية بمضمونه، ووصفهم بأهل الإيمان مما يبعث على الامتثال المناسب بهذا الوصف<sup>(1)</sup>.

ولقد حرمت هذه الآية الكريمة أكل المال بالباطل، وقتل النفس بغير حق، ثم جاء الوعيد لمن يفعل ذلك، فقال تعالى: { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وظُلْمًا }، أي: عن عمد وقصد، وهو الاعتداء على الغير، وظلمًا للنفس؛ لأنَّ جميع المعاصي ظلمٌ للنفس<sup>(2)</sup>. وجوابُ الشرط في قوله تعالى: { فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ } والفاء رابطة للجواب، و ( سوف ) حرف توكيد، يدخل على الفعل المضارع فيمحضه للزمن المستقبل، وهو مرادف ( للسين ) على الأصح<sup>(3)</sup>، وقال تعالى: { نُصَلِّيهِ }، أي: " نُصَلِّيهِ حرًا كما تعرض الشاة المصلية، أي نحرقة بها "<sup>(4)</sup>، و{ نَارًا } جاءت منكرة تعظيمًا لها<sup>(5)</sup>.

ثم قال تعالى: { وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا }؛ لتحقيق الوعيد، وإظهار اسم الجلالة بطريقة الالتفات؛ لتربية المهابة، وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي<sup>(6)</sup>.

ثم قال تعالى: { وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74) } [ النساء:74]، فبعد أن ذم الله - عزوجل - المبطلين عن الجهاد رغب في القتال في سبيله، قال تعالى: { وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ }، أي: أن يكون قتاله خالصاً لوجه الله، { فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ }، أي: صار مقتولاً من جهة الكفار، أو صار غالباً، ومما يجب على المجاهد في سبيل أن يوطن نفسه بإحدى الحسنيين، ولا يأتي بباله الأسر، واقتصر على القتل والغلبة في هذه الآية؛ ولم يزد عليها أو يؤسر، إجابة من أن يذكر لهم حالة ذميمة لا يرضاها للمؤمنين، فسكت عنها لأنها في موضع الترغيب<sup>(7)</sup>.

وقوله تعالى: { فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } وعد منه - عز وجل - وتأمل في دقة الكلمة القرآنية، وهي تحمل في مكنونها كثيراً من المعاني؛ حيث عُبر بـ ( سوف ) وهو حرف استقبال وتوكيد للوعد، وحتى نرى كيفية ترتيب فعل على فعل، نحن أمام هذه المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى: لم يقل الله - عز وجل - : ( من يقاتل في سبيل الله نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ) يأتي الجزاء فور حصول الشرط.  
المرحلة الثانية: لم يقل الله - عز وجل - : ( من يقاتل في سبيل الله فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ) يأتي الجزاء بعد زمن يسير تؤديه (السين).

المرحلة الثالثة: قال تعالى: ( من يقاتل في سبيل الله فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ) يأتي الجزاء بعد زمن أطول تؤديه ( سوف )، أي هذا القول سيبقى إلى يوم القيامة، وهذا الجزاء موصول لا مقطوع ولا ممنوع، وهذا يدل على أمد العطاء من الكريم - جل جلاله -<sup>(8)</sup>.

(1) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 170.

(2) يُنظر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج1، ص 260.

(3) يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتلوين، ج5، ص 25.

(4) ابن عطية، تفسير ابن عطية المخرر الوجيز، ج1، ص 531.

(5) يُنظر: الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج3، ص 664.

(6) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 170.

(7) يُنظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج10، ص186. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 201. وابن عاشور، تفسير التحرير والتلوين،

ج5، ص 122.

(8) يُنظر: الشعراوي، محمد متولى، تفسير الشعراوي، بدون عدد الطبعة، م 26، مطابع أخبار اليوم التجارية، ج4، ص 2414 - 2415.

قال البقاعي: " وربما دل التعبير ب( سوف ) على طول عمر المجاهد غالباً، خلافاً لما يتوهمه كثير من الناس، إعلاماً بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب"<sup>(1)</sup>.

{ نُؤْتِيهِ } كل فعل يتناسب مع فاعله أثراً وقوة، جاءت بنون العظمة، وكل ما أضيف إلى الله - عز وجل - من ضمائر الجمع، فهو للتَّعْظِيم<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: { أَجْرًا عَظِيمًا } قال أجراً ولم يقل ثواباً؛ لأن الأجر هو الجزاء على العمل، كالإجازة، سمي الله تعالى الثواب أجراً تشبيهاً له بأجر العامل الذي يستأجره الإنسان لعمل شيء ما، ثم يعطيه أجره، وهذا الأجر لا يكاد يُعلم كميّةً وكيفيّةً<sup>(3)</sup>.

## الخاتمة

في ختام هذا البحث، سجّل الباحثان أهمّ النتائج التي تمّ التوصلُ إليها، وهي على النحو الآتي:

**أولاً:** تنوعت أساليب الشرط في سورة النساء، وهذا التنوع كان في غاية التناسب مع سياق وموضوعات السورة.

**ثانياً:** أكثر أدوات الشرط مجبياً في سورة النساء هي ( إن ) الشرطية.

**ثالثاً:** تأتي ( إن ) الشرطية في المشكوك في وقوعه أو نادر الوقوع، لكنها جاءت في هذه السورة في مواطن الأحكام الشرعية، ومن المفروض أن تأتي ( إذا ) الشرطية، بدل ( إن ) الشرطية، والأثر البياني يُجَلِّي لنا سر ذلك، كما في الآية ( 35 )، وهو ندرتُ تحقق وجود الشهادة في هذه المواطن، فناسب ( إن ) الشرطية من ( إذا ) الشرطية.

**رابعاً:** وضعت لنا هذه السورة منهجية علاج الخلاف بين الزوجية، فجاءت بأسلوب الشرط المناسب لها، وهي على مراحل مختلفة في العلاج، كما تمّ تفصيله في سياق البحث.

**خامساً:** مجيء ( إذا ) الشرطية يكون في مواطن متحققة الوقوع، ومنها الآية رقم ( 18 )، وهي حتميةً وقوع الموت، فهي في غاية التناسق.

**سادساً:** مجيء ( من ) الشرطية يكون في التعميم، ويفيد الاختصار والإيجاز، كما في الآية رقم ( 13 )، أما في الجواب فكان مفصلاً ليعبث على الجد والاجتهاد.

**سابعاً:** تنوعت وجوه الحذف في أسلوب الشرط، فمنها حذف جواب الشرط، كما في الآية رقم ( 39 ) فأثر الحذف يعمل على التحريض في إعمال الفكر.

**ثامناً:** حذف المفعول به، كما في الآية رقم ( 9 )، يدلُّ على إفادة العموم.

**تاسعاً:** تنوعت وجوه التأكيد في أسلوب الشرط، ومنها التأكيد بالترار، كتكرير حرف معين، أو التأكيد بالمصدر، أو التأكيد بتقديم المسند، أو التأكيد بتقديم الخبر، أو التأكيد بالاعتراض، وقد كان لذلك كُله الأثر البياني البالغ في تلك الآيات الكريمة.

(2) البقاعي ( ت 855هـ - 1480م )، نظم الثمر في تناسب الآيات والسُور، ج5، ص 327.

(3) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج2، ص 201. الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج4، ص 2416. بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج1، ص 527.

(3) يُنظر: أبادي ( ت 817هـ )، القاموس المحیط، ص 342. بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم ( سورة النساء )، ج1، ص 254-252. الألوسي، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6، ص 140.

- م قائمة المصادر والمراجع
- 1 القرآن الكريم
  - 2 آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوى التميز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق (الأستاذ محمد على النجار)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
  - 3 آبادي، محمد بن بن يعقوب الفيروز، القاموس المحيط، تحقيق (مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقشوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
  - 4 إبراهيم، علاء الدين علي بن محمد، تفسير الخازن المسمى (لِباب التأويل في معاني التنزيل)، ضبطه وصححه (عبد السلام محمد علي شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت.
  - 5 ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، (تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شار في تحقيقه برسالته الجامعية: د. محمد سعد رمضان حسن، و د. محمد المتولي الدسوقي حرب)، دار الكتب العلمية، بيروت.
  - 6 ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
  - 7 ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز، تحقيقي وتعليق (الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق)، دار الخير، بيروت.
  - 8 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (تحقيق: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي)، دار المعارف، القاهرة.
  - 9 أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
  - 10 أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض) شارك في تحقيقه (د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجمل)، دار الكتب العلمية، لبنان.
  - 11 أبي الإصبع، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.
  - 12 الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق (صفوان عدنان داوودي)، دار القلم، دمشق.
  - 13 آل نضر، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى، الاستيعاب في بيان الأسباب (أول موسوعة علمية حديثة مُحَقَّقة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
  - 14 الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حقق هذا الجزء (ماهر حبوش)، ساهم في تحقيقه (ذاكر الحسناوي و خضر الزيدي)، دار الرسالة العلمية، دمشق.
  - 15 البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
  - 16 ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه (د. أحمد الحوفي و د. بدوى طبانة)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر.
  - 17 ابن الجزري، محمد، القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر، مدعمة بالأدلة (لفضيلة الشيخ جمال الدين محمد شرف)، دار الصحابة للتراث، بمصر.
  - 18 ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن)، تحقيق (طارق فتحي السيد)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
  - 19 ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق (محمد علي النجار)، مطبعة دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر.

- 20 ابن جني، أبي الفتح عثمان، ألمع في العربية، تحقيق: (سميح أبو مغلي)، دار مجدلاوي للنشر.
- 21 ابن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- 22 ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق (أحمد عبد الله القرشي رسلان)، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي، القاهرة.
- 23 ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط (عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 24 الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الأعجاز، قرأه وعلق عليه (أبو فهر محمود محمد شاكر)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة، مطبعة المدني، بمصر.
- 25 الجرجاني، علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان (ساحة رياض الصلح)، بيروت.
- 26 الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين، الذر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق (د. أحمد محمد الخراط)، دار القلم، دمشق.
- 27 الخطيب، أحمد سعد، مفاتيح التفسير (معجم شامل لما يهّم المفسّر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهمّته)، دار التدمرية، الرياض.
- 28 الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، بدون عدد الطبعة، م5، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 29 الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- 30 الرازي، محمد، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.
- 31 الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، (شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتاب، بيروت.
- 32 الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، (شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتاب، بيروت.
- 33 الزركشي، محمد بن عبد الله، الزهران في علوم القرآن، تحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم)، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- 34 الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة (الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، أ.د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي)، مكتبة العبيكان، الرياض.
- 35 السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
- 36 السامرائي، فاضل صالح، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، دار ابن كثير.
- 37 سعد، محمود توفيق، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة.
- 38 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق (مركز الدراسات القرآنية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية.
- 39 الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم التجارية.
- 40 الشنقيطي، محمدو الملقب لب بن أباه، حذف الشرط والحواب في آيات الكتاب، دار الإسراء للطباعة والنشر والتوزيع، نواكشوط - موريتانيا.
- 41 صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد (دمشق - بيروت)، مؤسسة الايمان (بيروت - لبنان).
- 42 عبد السلام، مصطفى، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، بدون عدد الطبعة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.



- 43 العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه ( محمد إبراهيم سليم )، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 45 العكبري، عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن ( يعرض لأهم وجوه القراءات، ويعرب جميع آي القرآن )، تحقيق: ( علي محمد البجاوي ).
- 46 الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين ( مُرتَّبًا عَلَى حُرُوفِ المعجم )، ترتيب وتحقيق ( الدكتور/ عبد الحميد هندأوي )، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 47 القرطاجني، أبي الحسن حازم، منهاج اللغاة وسراج الأدياء، تقديم وتحقيق ( محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العربية للكتاب، تونس.
- 48 القوجوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى، حاشية محبي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 49 المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- 50 النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، السنن الكبرى، قدم له ( د. عبد الله بن عبد المحسن التركي )، أشرف عليه ( شعيب الأرنؤوط )، حققه وخرج أحاديثه ( حسن عبد المنعم شلبي )، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 51 النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي ( بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ت 911هـ ) و ( حاشية الامام السندي ت 1138 هـ )، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، دار المعرفة، بيروت.
- 52 الهمذاني، المنتجب، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ( إعراب، معان، قراءات )، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه ( محمد نظام الدين الفتيح )، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.